جامعة الدكتور يحي فارس _ المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

موضوع البحث:

المظاهر الاجتماعية في العهد العثماني(بغداد نموذجا)

(1638م_ 1900 م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية(1453_1924)

من إنجاز الطالبات :

صليحة العبيدي

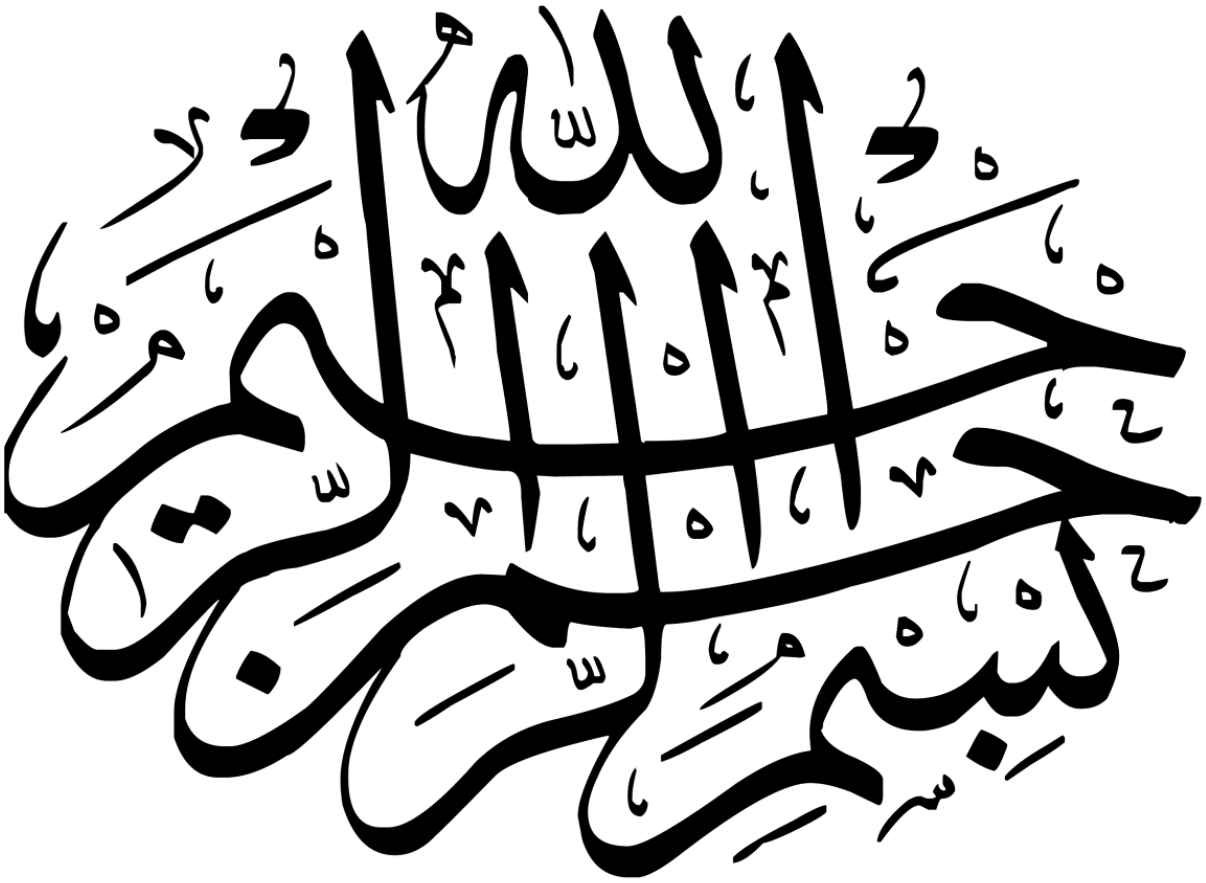
فاطمة الزهراء حمودي

تحت إشراف الدكتور:

كمال بوزريعي

السنة الجامعية

2020م_ 2021م / 1441هـ_ 1442هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ،ولا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك ،و لا تطيب الجـــــنة إلا برؤيتك

" الله جل جلاله "

إلى من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ،ونصح الأمة ،إلى نبي الرحمة

"سيدنا محمد صل الله عليه وسلم "

الجهد لا يكتمل حتى ينسب لكل ذا فضل فضله، لذا نتوجه بتحية شكر وتقدير لكل من علمونا قداسة الحرف ومهدوا لنا طريق العلم، وإلى كل من كان له الفضل في إيصالنا إلى هذه الدرجة.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف" الدكتور كمال بوزريعي" الذي لا نبالغ إن قلنا أننا كنا محظوظين برعايته خلال فترة إنجاز هذا العمل ،فكان المعلم الناصح ، متمنين له السعادة والهناء وبلوغ المبتغى ووصول درجات العلى.

كما نتقدم بالشكر والإمتنان الكبير إلى كل أساتذتنا الكرام الذين تدرجنا على أيديهم طيلة مسارنا الدراسي ،وكل من قدم لنا يد المساعدة سواء من قريب أو بعيد .

إهداء

إلى من جعلت الجنة تحت قدميها ،إلى من اشرقت الشمس بين يديها ،إلى ملاكي في الحياة ،إلى معنى الحب والحنان ،إلى بسمة الحياة وسر الوجود ،إلى من كان دعائها سر نجاحي

"أمي حبيبة قلبي أطال الله عمرها "

إلى الذي زودني بالمبادئ السامية ،إلى من امتطى صعاب الحياة وذللها ليراني مسلحة بخير التسليح ،إلى الشمعة التي تحترق لتضيء لي درب الحياة ،إلى الذي أنار لي درب الحياة

"أبي حبيب قلبي أطال الله عمره "

إلى من لهم في الفؤاد مشاعر الإيمان ، ومحبتي لهم تفيض الوجدان ،إلى الورقة المسطرة على قلبي وأحملها أينما سرت

" إخوتي و أخواتي الأعزاء "

إلى توأم روحي ورفيقة دربي " العبيدي وهيبة "

إلى الزهور التي تعطر حياتي ،إلى من أحبهم فوق الظنون، أبناء إخوتي

"رمزي ،أيمن، عبد المؤمن ،وليد ،إسماعيل ،إسراء "

إلى صديقتي التي أنجزت معي هذه المذكرة وشاركتني في تفاصيلها "فاطمة الزهراء حمودي "

صليحة

إهداء

إلى أعظم نعمة من الله بعد الإيمان ،إلى من قال فيها الخالق بأن لا جنة لعبدي بغير رضاها ،إلى التي علمتني أن الحياة كفاح، إلى التي وهبتني عمرها وفضلتني عن نفسها ،وضحت بسعادتها ،وسهرت الليالي من أجلي

"أمي أطال الله في عمرها "

إلى من كلله الله الهيبة والوقار ،إلى من علمني العطاء دون انتظار ،إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

"أبي أطال الله في عمره "

إلى كل من شاركني وتقاسمت معهم الدفء الأسري ،وتبادلت معهم الحب الأخوي ،إخوتي الأعزاء

"محمد ،رياض، أنور ، عبد الرزاق ، ياسين "

إلى صديقاتي ورفيقات دربي دون استثناء

إلى صديقتي التي أنجزت معي هذه المذكرة وشاركتني في تفاصيلها "العبيدي صليحة "

فاطمة الزهراء

قائمة المختصرات الواردة في البحث

الكـــلـــــمـــة	الاخـــتـــصـــار
ترجمة	تر
جزء	ج
طبعة	ط
مجلد	مج
صفحة	ص
عدد	ع
ميلادي	م
هجري	هـ
تحقيق	تح
تعريب	تع

المقدمة

تنعكس التركيبة الاجتماعية لمدينة بغداد و التنوع العرقي من حيث الأصول على الفترة الممتدة من القرن السابع عشر الميلادي إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تعتبر مرحلة هامة من تاريخ بغداد العثمانية في شتى المجالات .وبالرغم من أهمية هذه الفترة إلا أنها لم تحض بالاهتمام الكافي من الباحثين ، وإذا استثنينا بعض الإشارات التاريخية فإنها صورة شاملة عن الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني و ليس في الإمكان معرفة مجتمع مدينة بغداد بتلك النظرة الشاملة دون معرفة تاريخه المفصل فتاريخ المجتمع هو الذي يبين لنا مقدار النمو و التطور خلال المراحل التي مر بها ،كما يوضح لنا مدى استجابته لأنماط الحياة من خلال احتكاكه بالغير و اطلاعه على نظمه وتقاليده وثقافته .

إن الاهتمام بالدراسات الاجتماعية مسألة حديثة وهو ما جعل عدد الدراسات التي تناولت موضوع مظاهر الحياة الاجتماعية في بغداد خلال العهد العثماني محدودة جدا مما جعل الهدف من دراستنا لهذا الموضوع هو المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بالتاريخ الاجتماعي، وأيضا تقديم صورة عن المجتمع البغدادي و طبيعة العلاقة بين مختلف الشرائح الاجتماعية في ظل الإدارة العثمانية .

أسباب اختيار الموضوع :

لقد دفعتنا أسباب كثيرة لاختيار هذا الموضوع منها :

ـ إدراكنا لأهمية الموضوع في هذا المجال وهو كون المجتمع هو المحرك الأساسي للنشاط السياسي والنشاط الاقتصادي والثقافي أي لا يمكننا الفصل بين مختلف هذه النشاطات و من هنا كان التطرق للمجال الاجتماعي لأنه ملازم للميادين الأخرى.

ـ ركز أغلب المؤرخين لهذه المرحلة في دراستهم التاريخية وأبحاثهم على الجوانب العسكرية والسياسية، وفي اعتقادنا أنهم أغفلوا جزئيا الجوانب الاجتماعية الأخرى.

إشكالية البحث :

الإشكالية التي بنينا عليها موضوعنا هي كالآتي:

ـــإلى أي حد كان التعايش في المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني منسجما ببين مختلف المذاهب الدينية والطوائف المذهبية دون أن يحدث بينها صدام عرقي أو مذهبي أو ديني ؟ ومن هذه الاشكالية الكبرى تتفرع منها عدة تساؤلات وهي كيف كانت المنظومة القانونية مهيمنة على الحياة الاجتماعية ؟ وكيف بنيت هذه الثقة بين القانون و المجتمع ؟وفيما تمثلت المنشآت العمرانية في بغداد خلال العهد العثماني ؟ وما هي تلك المظاهر الاجتماعية السائدة في بغداد وهل يصدق على المجتمع البغدادي تطبيق نظرية الوحدة والتنوع التي كانت شعار الدولة العثمانية ؟

الإطار الزماني:

وقد حددنا الإطار الزماني للبحث بالفترة الممتدة من القرن السابع عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أي من فترة حكم السلطان مراد الرابع إلى غاية الحكم البريطاني إلى مدينة بغداد ،وذلك حتى نتمكن من تتبع الأحداث التي عرفها المجتمع البغدادي في تركيبته السكانية وتطور مظاهره الاجتماعية .

المنهج المستعمل في الدراسة :

اتبعنا في دراسة موضوع هذا البحث وعناصره المختلفة على مناهج البحث العلمي المعروفة في مجال الدراسات التاريخية، وهي:

ـــ المنهج التاريخي الوصفي :الذي يتمثل في سرد و وصف الأحداث التاريخية وتصنيفها خاصة في الجانب السياسي والجانب العسكري.

ـــ المنهج التحليلي: استخدمناه في دراسة الوقائع التاريخية والأحداث العسكرية التي مرت بها مدينة بغداد ومناقشتها وربطها بالظروف المحيطة بها بغرض الوصول إلى استنتاجات.

خطة البحث:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقا قسمنا موضوعنا إلى مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث كل مبحث يتضمن ثلاث مطالب وخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات مع تزويد البحث بجملة من الملاحق الموضحة للمتن.

بداية بالمدخل هو بمثابة فصل تمهيدي للبحث تناولنا فيه الأوضاع السياسية لمدينة بغداد في الفترة الممتدة من 1534م إلى 1638م قسمناه إلى ثلاث عناوين :العنوان الأول كان تحت عنوان الوجود العثماني الأول في مدينة بغداد سنة 1534م ،ثم العنوان الثاني تحدثنا فيه الوجود الصفوي الثاني في بغداد وإنهاء الحكم العثماني الأول ،وبعد ذلك العنوان الأخير الذي كان عنوانه الوجود العثماني الثاني في مدينة بغداد سنة 1638م .

ثم المبحث الأول الذي بعنوان العمران في مدينة بغداد خلال العهد العثماني والذي تضمن ثلاث مطالب المطلب الأول بعنوان أسوار مدينة بغداد خلال العهد العثماني ،ثم المطلب الثاني عنوانه المنشآت العمرانية في بغداد ويليه المطلب الثالث تحت عنوان المنشآت المدنية في بغداد خلال العهد العثماني.

أما المبحث الثاني تحت عنوان فئات المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني الذي حمل في طياته أيضا ثلاث مطالب :الأول تحدثنا على الفئة الأولى في المجتمع البغدادي وهي فئة العلماء ورجال الدين ،ثم الثاني فئة التجار وأصحاب الحرف وبعده المطلب الثالث تحدثنا عن الفئة العامة والتي جمعنا فيها الطوائف الدينية (المسلمون _اليهود _النصارى) .

وأخيرا المبحث الثالث عنوانه الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني قسمناه إلى ثلاث مطالب :كان الأول بعنوان المظاهر الدينية والفنية في بغداد خلال الحكم العثماني ،أما المطلب الثاني تحدثنا عن الخدمات الاجتماعية في مدينة بغداد الثالث كان تحت عنوان عادات وتقاليد المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني.

أهم المصادر والمراجع في الدراسة:

أثناء دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على جملة من المادة العلمية المتمثلة في قائمة من المصادر والمراجع التي أفادتنا كثيرا ،أهمها:

أ/المصادر:

ـ ستيفن هميسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ،يعتبر مصدر مهم ترجمه جعفر خياط تناول تاريخ العراق من القديم ساعدنا في التعرف على حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد ، أيضا نجد الرحالة تافرينيه ، رحلة تافرينيه إلى العراق خلال القرن السابع عشر وترجمه بشير فرنسيس و كوركيس عواد تناول مختلف المظاهر الاجتماعية في بغداد خلال العهد العثماني من زواج وختان ومجالس التعازي وغيرها ،وأيضا عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين بأجزائه السبعة الذي اعتبر مصدرا مهما لدراسة التاريخ العراقي تناول في أجزائه الحديث عن العراق عامة وبغداد خاصة وأثر الدخول العثماني فيها .

ب/المراجع:

ـإبراهيم عبد الغني الدروبي ، الغداديون أخبارهم ومجالسهم وهو مرجع اعتمدنا عليه كثيرا في معرفة اسماء العائلات البغدادية المعروفة آنذاك خاصة العائلات التجار وأصحاب الحرف . ثم اعتمدنا على كتاب فردوس عبد الرحمان كريم اللامي بعنوان الحياة الاجتماعية في بغداد من سنة 1831م حتى سنة 1918م وهو أيضا مرجع مهمد بالدرجة الأولى لدراسة الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد ساعدنا في معرفة الطوائف الدينية الموجودة في مدينة بغداد خلال العهد العثماني و معرفة عادات وتقاليد المجتمع البغدادي آنذاك ،وأيضا كتاب علي الوردي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث بأجزائه الثمانية وهو مرجع تنوع في دراسة المجتمع العراقي بكل مجالاته ساعدنا في التعرف على مكانة المرأة البغدادية في المجتمع العراقي والتعرف على أزياء البغداديين .

صعوبات البحث :

لا يخلو أي عمل من النقائص وذلك لوجود جملة من الصعوبات ابرزها :

_ ضيق المدة الزمنية لإنجاز هذه المذكرة .

_ندرة المصادر والمراجع المتخصصة في دراسة هذا الموضوع من الناحية الاجتماعية لمدينة بغداد خلال العهد العثماني ،حيث أهمل معظم المؤرخين دراسة الجوانب الاجتماعية ،كما ان أغلب المصادر ركزت على الجانب السياسي دون غيره .

المدخل

(الأوضاع السياسية لمدينة بغداد في العهد العثماني)

* أولا : الوجود العثماني الأول على مدينة بغداد(1534م).

* ثانيا :الوجود الصفوي في مدينة بغداد وإنهاء الحكم العثماني الأول .

* ثالثا :الوجود العثماني الثاني في مدينة بغداد (1638م).

لقد اتسمت الأوضاع السياسية في مدينة بغداد قبل الحكم العثماني بالتوتر والاضطراب وكثرة الحروب، وقد تمثل ذلك التوتر في العلاقة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية فكانت بغداد تارة تحت الحكم الصفوي وتارة تحت الحكم العثماني .حتى شكل وجود الدولة الصفوية عائقا كبيرا أمام العثمانيين وشكل نجاح الصفويين بزعامة الشاه اسماعيل [1] خطرا على العثمانيين الأمر الذي زعزع الاستقرار في المنطقة ،حيث سيطرت الدولة الصفوية على العراق عامة وعلى بغداد خاصة حتى وصلوا لحدود الدولة العثمانيةُ ؛لذلك سعى العثمانيون إلى إدخال بغداد تحت لواء الدولة العثمانية خاصة أن لها وزن سياسي واقتصادي .**وقد كان واقع الصراع بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية حتميا وقد تضمن هدا الصراع جملة من الاسباب :**

أ _السبب الديني:

_ الدولتين العثمانية والصفوية كانتا على طرفي نقيض ،فقد كان الأتراك منذ دخولهم الإسلام الحماة التقليديين للمذهب السني ؛أما الصفويين فقد كانوا على عكسهم دعوا إلى المذهب اثنى عشر [2] وأعلن الشاه إسماعيل أن الشيعة هو المذهب الرسمي لعاصمة تبريز [3].

_وجود عتبات مقدسة في بغداد تلك العتبات التي كثيرا ما أخذتها الدولة الصفوية ذريعة لتدخل بحجة المحافظة عليها وتأمين زيارة الفرس لها ،وعلى الخصوص في النجف وكربلاء وبغداد.

ب _السبب الاستراتيجي:

_مشاكل الحدود وتداخلها بين الدولتين ورغبة الدولة العثمانية في تأمين حدودها الشرقية ،وذلك بعد محاولة الدولة الصفوية التوسع على حساب بلاد الأناضول [4].

1_ الشاه إسماعيل الصفوي :(1550م _1524م) مؤسس الأسرة الصفوية في بلاد الفرس والذي تبنى المذهب الشيعي .

2_ مذهب اثنى عشر : سمي نسبة إلى أمة الشيعة الجعفرية اثنى عشر وهم : علي بن أبي طالب ،الحسن والحسين ،علي زين العابدين ،مُحَمَّد الباقر ،جعفر الصادق ،موسى الكاظم ،علي رضا ،مُحَمَّد التقي ،حسن ،العسكري مُحَمَّد ،مُحَمَّد المنظر.

3_عبد العزيز سليمان نوار ،تاريخ العراق الحديث من نهاية الحكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ،1968م ،ص 66.،

4_ إسماعيل أحمد ياغي ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي ، مكتبة العبيكان ،الرياض ، ص 65 .

ج_السبب السياسي:

_دافع إيديولوجي وهو أن العراق آخر معتمد آلاق قوينلو[1] .

_قيام الشاه إسماعيل الصفوي بالتحالف على ملك المجر ضد العثمانيين ومن جهة طالب التحالف مع البندقية مقابل تزويده بالمدافع ،حيث كانت هذه الأخيرة في حرب مع الدولة العثمانية من جهة أخرى[2] .

_احتضان الشاه إسماعيل الصفوي للثائرين على سليم الأول مع إخوته وأقاربه المعارضين لحكمه [3].

_العداء الشخصي بين السلطان سليم الأول[4] وإسماعيل الصفوي، وتبادلهما الرسائل العنيفة عقب معرفة السلطان العثماني بمساندة الشاه لمراد ابن أخيه [5].

د _ السبب الاقتصادي:

_التنافس الاقتصادي التجاري حول تجارة الحرير فإيران كانت تعتمد في تجارتها الخارجية أساسا على بيع الحرير لكن الدولة العثمانية سرعان ما بدأت تبدي اعتراضها لهذه التجارة وهذا بفرض حصار تجاري عليها وأصبحت تتحكم بها.

_ظهور أزمات اقتصادية متتالية كثورة الأسعار من جراء تدفق الذهب والفضة وانفتاح الأسواق الأوروبية ؛هذه الأخيرة عانت منها الأسواق الإسلامية [6].

وفي القرن السادس عشر ميلادي بدأت تظهر بوادر الصراع العسكري بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية ،بداية بمعركة تشالديران التي كانت بقيادة السلطان سليم الأول سنة1514م ضد الشاه إسماعيل الصفوي والتي

1_آلاق قوينلو :هم أسرة تركمانية سنية وهي في الأصل أسرة الشيخ صفي الدين مؤسس الدولة الصفوية .

2_شوقي أبو الخليل ، تشالديران سليم الأول وإسماعيل الصفوي ،ط1 ،دار الفكر ، دمشق ،2005م ، ص ص 50_51 .

3_محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ط1 ،دار القائي ، بيروت ، 1981م ، ص ص 186_187 .

4_ السلطان سليم الأول : (1512م _1534م) : هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية كان يلقب باسم ياووز .

5_شوقي أبو خليل ، المرجع نفسه ، ص ص 52_54 .

6_ وجيه الكوثراني ، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين خارجيتين العثمانية والصفوية ، القاجارية، ط4 ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت ،2015م ،ص ص 86_88_89 .

كانت من نتائجها: هزيمة الشاه إسماعيل الصفوي ودخول العثمانيين لعاصمة الصفويين تبريز ،وقتل والي بغداد وأمراء كثيرين ومن العرب حوالي عشرة آلاف ؛واستلاء سليم الأول على خزائن الشاه اسماعيل وأمواله وخزائنه وخيامه ونسائه .كما أن هذه المعركة لم تحقق نهاية للحرب فالعثمانيين بانتصارهم هذا لم يوقف الصفويين عند حدودهم ولم يضع حدا لنشاطهم العدائي ضد الدولة العثمانية .

1 _ الوجود العثماني الأول على بغداد 1534م :

أخذت تتسارع الأحداث بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية بعد معركة تشالديران ،بعد أن اعتلى السلطان سليمان القانوني[1] العرش في الدولة العثمانية قرر بشن حملة عسكرية على مدينة بغداد سنة 1534م ضد الصفويين التي أصبحت بقيادة الشاه طهمساب الأول[2] .

أ _أسباب حملة السلطان سليمان القانوني :

_ استلاء الشاه طهمساب الأول على بغداد سنة1530م كان بمثابة تحدي واضح إلى السلطان سليمان القانوني ،خاصة أنه تسلم مفاتيح من ذو الفقار الذي كان حاكم بغداد بعد تمرده على الشاه وإعلانه ولائه للدولة العثمانية ؛فاعتبرها القانوني من ممتلكات دولته واعتبر الشاه طهمساب أن دخول العثمانيين الى بغداد تعدي على ممتلكاته فكان هذا الحدث شرارة الأهم لبداية استئناف المواجهة العسكرية بين الطرفين .

_هددت سيطرة الصفويين على مدينة بغداد الطرق التجارية بين الشرق وأوروبا بشكل خطير ،بفعل أن العراق كان يربط هذه الطرق وبالتالي تهديد مصالح الدولة العثمانية .

_رغبة السلطان سليمان بإنقاذ مدينة بغداد من أيدي الصفويين من بطشهم من على أهل السنة المتواجدين في العراق خاصة بغداد ،وبواجب تعمير مرقد الإمام الأعظم أبي حنيفة الذي هدمه الشاه إسماعيل الصفوي أثناء دخوله للعراق 1508م[1].

1_السلطان سليمان القانوني :(1520 م _1566م)هو عشر سلاطين الدولة العثمانية .

2_ الشاه طهمساب الأول : (1524م _1576م)هو ثاني حكام الدولة الصفوية .

وبشكل عام كانت أهداف الحملة شبيهة بالأسباب التي أدت لقيام السلطان سليم الأول بغزو إيران قبل 20عام فهي حرب وقائية تجارية سياسية ومذهبية على العراق ،وعلى أي حال دخول طهمساب الى مدينة بغداد سنة1530م واستغاثة حكامها بالسلطان القانوني سبب مباشر لزحف القوة العثمانية على إيران ثم الوجهة الأساسية لبغداد سنة 1535م ،ويبدو أن وصول السلطان العثماني على رأس جيشه ومعه المدافع لسهول بغداد بعث الرهبة في قلوب الحامية الإيرانية بقيادة بكلو مُحَمَّد خان ،لقد كانت تلك أول مرة يسمح أهل بغداد فيها باستعمال المدافع ؛وربما انتشرت المبالغات بينهم عن هذا الاختراع العجيب وما يمكن أن يأتي به من أفاعيل لتدمير[2]. فهرب حاكمها بكلو مُحَمَّد خان إلى إيران عن طريق الحيلة في 28تشرين الثاني 1534م، ووصلت أنباء فراره لسلطان سليمان فأرسل الصدر الأعظم قبله الذي دخل دون مقاومة وأغلق الأبواب منعا لنهب وخيم الجيش شمال المدينة [3]؛ثم بوصول السلطان فتحت له أبواب مدينة بغداد فدخلها في 31ديسمبر 1534م .

ب _ أعمال السلطان سليمان القانوني في مدينة بغداد :

أقام السلطان سليمان القانوني أربعة أشهر في بغداد بعد أن ظفر بمفاتيحها قام خلالها بتنظيم الأمور الإدارية والمالية والقضائية لولاية بغداد، وبادر بتقسيم العراق إلى مناطق إدارية إلا أن تلك التنظيمات لم تأخذ شكلها النهائي إلا في أوائل القرن 17م .

_ التنظيم الإداري:

لقد قسم السلطان سليمان العراق إلى أربع ولايات هي :البصرة، الموصل ،وشهر زور ،بغداد .حيث كانت الثلاثة الأولى بمثابة مراكز وكانت بغداد هي الأساس حيث كان ولاة بغداد يعينون من اسطنبول أما الولايات الأخرى فيعينون من قبل اسطنبول أيضا لكن باقتراح من والي بغداد ،وكانت تعد بغداد من أهم الولايات العراقية

1_ علي الوردي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن 19، ج1 ،ط1، انتشارات الشريف الرضى ،إيران ، ص 52.

2_علي الوردي ،المرجع نفسه ، ص55.

3_ستيفن هيمسلي لونكريك ،اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ،تع :جعفر الخياط ،مطبعة نقيض الأهلية ،بغداد ،1360هـ_1941م ،ص 77 .

كان الباشا بها صاحب المرتبة الأولى حيث كانت أكبر مركز ثقافي واقتصادي ؛وكانت تأخذ على عاتقها حماية باقي الولايات الأخرى [1].

وقام السلطان بتقسيم مدينة بغداد إلى 18سنجق[2] : عدا بغداد التي هي مركز لواء (الحلة ، زنك آباد ومن توابعها قزلرباط (السعدية) ، الجوا زر، الرماحية، جنكولة ،قرة طاع او قرة داغ (الان قضاء في محافظة السليمانية) درتنك (الآن ضمن الأراضي الإيرانية) وهي المعروفة ب (حلوان) ، السماوة ، بيات، درنة ،ده بالا ،واسط ، كرند (كرنت) ، دمير قبو، قازنية بالقرب من مندلي ، كيلان ، آل صاح ولعلها الصلاحية(كفري الحالية)، العمادية .

_ التنظيم الحكومي:

كان شكل الجهاز الحكومي في ايالة بغداد ،إن الوالي الذي كان أحيانا برتبة وزير هو الحاكم الأعلى في الايالة وكانت صلاحيات والي بغداد أوسع من صلاحيات ولاة الايالات الأخرى ،فمثلا كان يسمح لوالي بغداد أن يستعمل سفن شبيهة بتلك السفن التي يستعملها السلطان العثماني ،كما له الحق في استخدام مرسى الصولاق والبيكات ،وتعيين بعض الموظفين دون الرجوع للعاصمة[3] . أما الديوان الحكومي كان يعين أعضائه الوالي وكان من بين أعضاء الديوان القاضي دفتر دار يعين من الاستانة ؛واستطاع أن يحد من تلاعب الولاة بمال الدولة .كما أن الوالي لم تكن له مطلق السلطة حيث كان يشاركه فيها كل من القاضي الدفتر دار وقادة الانكشارية والشعب .وامتاز ولاة بغداد بأن السلطان منحهم حق العزل ونصب البشوات في الإمارات الكردية ،لكن كان أمر هذه الإمارات والعشائر العربية يعود لشيوخها وكانت سلطة الدولة العثمانية ضعيفة في هذه الإمارات عكس ذلك في المدن فقد كانوا يمثلون القوة الناشرة والحامية للإسلام[4] .

_ التنظيم الديني :

اهتم السلطان سليمان القانوني في الفترة التي بقي فيها في بغداد بالأماكن المقدسة ،وأول ما قام به هو زيارة قبر الإمام أبي حنيفة مؤسس المذهب الحنفي وأمر بإعادة بناء القبر الذي خربه الصفويون الشيعة وأمر ببناء جامع كبير

1_ عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص 7 .

2_ سنجق : كلمة تركية ذات معاني متعددة ،تأتي بمعنى الراية ،العلم اللواء وخاصة الحجم الكبير وسنجق يطلق أيضا على وحدة إدارية أصغر من الايالة وكان على رأس السنجق أمير اللواء .

3_ جيب هاملتون وهارولد بون ،المجتمع الإسلامي والغرب ، تح: أحمد عبد الرحيم مصطفى ،ج 1،دار المعارف ،مصر ،1970م، ص 216 .

4_ عبد العزيز سليمان نوار ،المرجع السابق ،ص ص 8_11 .

بجواره ؛إضافة لزيارته قبري الإمامين موسى الكاظم وعبد القادر الجيلالي وعمل قبات لها وزار العتبات المقدسة في الفرات الأوسط النجف[1] وكربلاء [2]،وزار مقامات أهل البيت وأمر بترميم قناة الحسينية [3].

2 _الوجود الصفوي في مدينة بغداد وإنهاء الحكم العثماني الأول :

أ _أسباب الضعف الحكم العثماني الأول في بغداد:

تعد الفترة الممتدة من 1616م إلى 1629م فترة ضعف حكم الدولة العثمانية في بغداد ويعود ذلك لجملة من الاسباب :

*بعد بغداد عن العاصمة العثمانية والخطر الصفوي المحيط بها .

*ضعف الدولة العثمانية العام لم يكن أقل تأثيرا في تمهيد الأمر لدخول الصفوي إلى مدينة بغداد مرة أخرى ،حيث بدأت في أوج عظمة الدولة العثمانية في منتصف القرن 16م وأول علامات خريفها [4].

*ضعف السلاطين العثمانيين الذين جاؤوا بعد السلطان سليمان القانوني .

*انحلال انكشارية الولايات إذ اصبحوا مصدر للفتنة ؛فقد لعبوا في بغداد دور خطير في الفتن الداخلية وشن القتال أكثر من مرة بينهم وبين القوات المحلية[5] .ومن أخطر التمردات الانكشارية هو تمرد بكري صوباشي أحد ضباط الانكشارية الذي قتل والي بغداد ،وأراد الانفراد بالحكم والاستقلال عن الدولة العثمانية[6] .

وكانت هذه فرصة الشاه صهمساب الأول للتوسع على حساب العثمانيين خاصة وأنه استطاع أن يأمن حدود بلاده الشرقية من غارات الأورزبك عليها ،فأصبح قادرا على مجابهة العثمانية [7].

1_ النجف :إحدى أبرز مدن العراق تقع في الجنوب الغربي لبغداد ،لها قدسية لدى المسلمين وخاصة الشيعة كونها مرقد الأول الأئمة ومسجد الكوفة.

2_ كربلاء :تقع في الفرات الأوسط وهي أهم المدن المقدسة لدى الشيعة تقع جنوب بغداد .

3_ بيك قايا ،كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية من 1840إلى 1876م ،ط1، دار العربية للموسوعات ،بيروت ،2008،ص 28 .

4_ علاء موسى كاظم نورس ،العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700م_1800م ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،1989م، ص 30

5_جب هاملتون و هارولد بون، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 28_30 .

6_إسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ،ص 108 .

7_ علاء موسى كاظم نورس ، المرجع نفسه، ص 33.

ب _ الحملة الصفوية الثانية على بغداد :

يمكن القول أن تمرد قائد الانكشارية في بغداد بكر الصوباشي هي السبب الرئيسي والدافع الأول للصفويين من أجل استعادة بغداد ،حيث استطاع سنة 1621م أن يتأثر بالحكم وغدا الصوباشي سيد بغداد غير المنازع ونصب نفسه للباشوية ؛فكان ذلك ممهدا لوقوع بغداد فريسة بيد الفرس .

أصدر الباب العالي أوامره إلى حافظ أحمد باشا والي ديار بكر لقيادة حملة إلى بغداد للقضاء على هذه الفتنة وعند وصول حافظ باشا عبر رأس هذه القوات إلى بغداد نشب قتال عنيف عند أسوارها ،وجرت مفاوضات بين الطرفين غير أن الصوباشي لم يقتنع بغير الباشوية ؛فأدام أحمد باشا الحصار على بغداد حتى ضعفت الحامية وقل الحامية فأدرك الصوباشي أنه أضعف أن يصدها فبادر بالاستنجاد بالشاه عباس الكبير إذا بعث رسولا يحمل مفاتيح المدينة على أن يكون هو الحاكم فيها والخطبة والسكة[1]، فكانت هي فرصة الشاه لسيطرة مرة أخرى على بغداد فبعث بجيش كبير لاحتلال العراق لمساعدة بكر الصوباشي وقد دخلت طلائع هذه القوات إلى الأراضي العراقية وأخذت تتقدم حتى وصل رسول الذي بعثه الشاه عباس إلى المعسكر العثماني معلنا أن بغداد أصبحت فارسية ولم يجد القائد العثماني حافظ أحمد باشا إلا الإقرار بالأمر الواقع إذا بات من الواجب الحيلولة دون سقوط بغداد بأيدي الفرس[2] ،فعقد صلح مع الصوباشي وأسند إليه باشوية بغداد على أن يبذل جهده لحماية البلاد من أن تمتد إليه أيدي أجنبية ثم قفل راجعا إلى الموصل ثم إلى ديار بكر ،لكن القوات الفارسية لم تعترف بما حدي بل واصلت زحفها على بغداد وضربت عليها حصار وطلب قائدها من الصوباشي ما وعده به ؛غير أن بكر الصوباشي لم أجاب بأنه مستعد لدفع نفقات الحملة الفارسية إلا أنه ليس مستعدا لتسليم بغداد ،اشتد حصار الشاه عباس الكبير على بغداد فاستفحلت المجاعة فيها وأخذت شكلا مروعا ويأس الجميع من أمل المساعدة التي كانوا يتوقعونها من القسطنطينية بعد النداءات المتكررة إليها[3] .

وفي الشهر الثالث من الحصار استهلكت الذخائر والمؤن ونفذت الحيوية داخل المدينة المحصورة ،وقيل أن أعوان الصوباشي قد بدأوا يتخلون عنه حتى خانه ابنه مُحَمَّد الذي بعث لشاه عباس يطلب الأمان لنفسه وأتباعه لقاء تسليمه القلعة وفتحه أبواب المدينة للصفوين فرضي الشاه بذلك ، وفي الليلة 28تشرين الثاني 1633م دخلت

1_علاء موسى كاظم نورس ، المرجع السابق ،ص ص 30_31_32 .

2_عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين العهد العثماني الأول،ج4 ،شركة التجارة والطباعة المحدودة ،1369هـ/1949م، ص239 .

3_ستيفن هيسلي لونكريك ، المصدر السابق ،ص 77 .

القوات الفارسية للمدينة وتم إلقاء القبض على بكر الصوباشي وتم إعدامه كما تم إعدام قاضي بغداد وآخرون وكثرت حوادث النهب والقتل [1].

3 _الوجود العثماني الثاني في مدينة بغداد سنة 1638م :

أ _حملات الاسترداد على مدينة بغداد :

كان سقوط بغداد في أيدي الصفويين مرة أخرى في غاية الخطورة بالنسبة إلى الدولة العثمانية وعلى الرغم من مرحلة الضعف التي كانت تمر بها آنذاك ،فإنها لم تتهاون عن محاولة استعادتها ،لذا فقد أرسلت حملات عسكرية يمكن أن نسمي هذه الحملات بالحملات الاسترجاعية التي أخفقت في تحقيق هدفها .ومن هذه الحملات هي :

_ حملة حافظ أحمد باشا على بغداد 1625م :

أسندت السلطة العثمانية مهمد استرجاع مدينة بغداد إلى الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا والذي حاصر المدينة مدة ستة أشهر؛ ويعود سبب تأخره في اقتحام المدينة إلى النقص الذي كانت تعانيه قواته العسكرية من سلاح المدفعية، وقد تمكن الشاه عباس خلال هذه المدة من التقدم بجيشه من أصفهان للاحتفاظ بمدينة بغداد فأبدى حافظ أحمد باشا شجاعة في مواجهة الصفويين والهجوم على جيشهم ونجح في الاستلاء على اللواء المقدس لهم وأعقب ذلك قيام مفاوضات فاشلة بين الطرفين ،ونتيجة لطول مدة الحصار من جهة وما كانت تعانيه القوات العثمانية من جهة أخرى دفع الانكشارية إلى التذمر من ثم تمردهم على الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا مما اضطره للانسحاب[2] .ويمكن ذكر جملة من الأسباب لفشل هذه الحملة :

*قلة الأرزاق وتفشي المرض في صفوف الجيش العثماني .

* انهيار معنويات الجند العثماني نتيجة الفشل في تحقيق نصر حاسم على الصفويين .

* تمرد الانكشارية بسبب طول فترة الحصار وعدم وصول الامدادات[3] .

_حملة الصدر الأعظم خسرو باشا على بغداد 1629م :

شهدت الفترة (1629م_1642م) وفاة الشاه عباس الكبير واعتلاء ابنه صفي الدين الحكم في الدولة الصفوية، فاستغل السلطان العثماني مراد الرابع[1] وفاة الشاه عباس الكبير وصغر سن خليفته صفي الدين .فقام

1_علاء موسى كاظم نورس ، المرجع السابق ، ص 36.

2_صالح محمود العابد ،حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد ،مجلة المورد ،عدد 4،مج 8 ،1979م ،ص 79 .

3_ إيناس سعدي عبد الله ،تاريخ العراق الحديث 1258م_1918م ،ط1 ،دار مكتبة عدنان ،بغداد ،2014م ،ص 269.

بإعداد حملة عسكرية ثانية على مدينة بغداد بقيادة الصدر الأعظم خسرو باشا ،فسار ب1500 مقاتل وفي طريقه زحف إلى بغداد وقام بإخضاع الأكراد أولا ثم قصد بلاد إيران حتى دخل همذان وسار إلى بغداد وفي طريقه انتصر على الفرس ثلاث مرات وقام بمحاصرة بغداد لمدة تزيد عن 40يوما[2] ،إلا أنه اضطر إلى رفع الحصار بسبب الخسائر التي منى بها في الهجمات التي شنها على المدينة إضافة إلى تذمر الجيش وظهور بعض الخلافات بين القادة وأفراده ؛وصدر فرمان من السلطان بعزل الوزير الأعظم خسرو باشا قائد الحملة بسبب إخفاقه في استعادة مدينة بغداد [3]. وبعدها لم يقم العثمانيون بمحاولات جادة لاستعادة بغداد بعد حملة خسرو باشا حتى 1638 م وهي سنة التي جهز فيها السلطان العثماني مراد الرابع حملة على مدينة بغداد .

ب_ حملة السلطان العثماني مراد الرابع على مدينة بغداد وإنهاء الحكم الصفوي 1638م:

خلال هذه الفترة كانت الأوضاع قد تغيرت لصالح العثمانيين فقد استطاع السلطان مراد الرابع إعادة ضبط وتنظيم أجهزة الدولة وتطهير الجيش من المتمردين ورؤوس الفتن فاستعادت الدولة العثمانية جزء من هيبتها السابقة ،وعلى العكس من ذلك كانت الأوضاع في إيران تسير نحو أسوء خاصة بعد أن تسلم صفي الدين حكم العرش الصفوي (1629م_1642م) الذي قام بسلسلة من الإعدامات خلال 13سنة التي قضاها في الحكم حيث قام بإعدام عددا من مستشاري جده وعددا كبيرا من قادة الجيش البارزين الأمر الذي أدى لتدهور الوضع في إيران آنذاك ،أما بغداد فقد توفي حاكمها القدير صفي قلي خان سنة 1631م وأعقبه بكتاش خان أرمني الأصل الذي كان أقل مقدرة من سلفه في إدارة الدولة العثمانية [4].

وجد السلطان مراد الرابع أنه لا أمل في كبح جماح الشيعة الصفويين وتحرير بغداد من سيطرتهم إلا إذا تولى هو بنفسه قيادة الجيش والحرب ضدهم ، فقام بالتخطيط لمعركة كبيرة وكان ذلك حصار بغداد الثالث والأكبر على الإطلاق سنة 1638م وأشرف عليها السلطان بنفسه ؛فاندلع إثر ذلك معركة رهيبة "معركة تحرير بغداد" وهي من أكبر المعارك في تاريخ الإسلام والعالم ،لاسيما أن القتال لم يقتصر على بغداد ومحيطها فقط وإنما اتسع ليشمل حدود الدولة العثمانية مع الصفويين وخاصة حدود العراق وإيران . وقد قدر عدد الصفويين داخل بغداد نفسها

1_السلطان مراد الرابع ،(1638م_1713م) أحد سلاطين الدولة العثمانية .

2_علي ظريف الأعظمي ،مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث (بغداد في 4000سنة)،مطبعة الفرات ،بغداد ،1344هـ /1921م ،ص 188.

3_مُحَمَّد مراد ،تاريخ أبو الفاروق ،ط 1 ،مطبعة أمدي ،ص 332.

4_ خليل علي مراد، العراق في العهد العثماني الثاني 1638م _1750م دراسة في الإدارة العثمانية والحياة الاقتصادية ،ط1 ،بيروت،2018م ،ص ص 20_31 .

بحوالي 40 ألف مقاتل إلى أبعد مدى وذلك في سبيل الاحتفاظ ببغداد والعراق ،والأهم من ذلك كسب عزيمة السلطان مراد الرابع وهزيمته بما يمثله ذلك من نصر معنوي للشيعة على السنة ليعيد إليهم بعض من سمعتهم التي تمرغت بالتراب جزاء هزائمهم السابقة على أيدي العثمانيين ؛فواصل السلطان حصاره على بغداد وتضييق الخناق على القوات الصفوية المتحصنة بداخلها وفي الوقت نفسه وضع الترتيبات اللازمة للحيلولة دون وصول أي إمدادات إليها بل دون اقتراب القوات من حدود العراق [1].

اشتد الهجوم على جميع القوات الصفوية القائمة عند أبواب بغداد الأربعة ورفض السلطان طلبا لعقد الصلح الذي تقدم به الشاه صفي الدين الأول[2] عن طريق مبعوث خاص ،وقد تواصل القتال بين الطرفين 40يوما حيث استطاع الجيش العثماني أن يخترق دفاعات الصفويين وأن يجبر قادتهم على الاستسلام ودخل مراد الرابع مدينة بغداد على رأس جيشه وذلك في 18شعبان 1048هـ الموافق ل 25 ديسمبر 1638م بعد أن استمرت تحت أيدي الصفويين لمدة15عام ، وكان هذا اليوم يوما مشهودا في تاريخ العثمانيين بشكل خاص والتاريخ الإسلامي بشكل عام ويشبه حدا كبير اليوم الذي دخلها السلطان سليمان القانوني غداة تحريرها من الصفويين ذاتهم قبل ذلك بحوالي قرن وتحديدا بذلك في سنة 1534م وبهذا الفتح المبين رجعت سيادة العثمانيين على العراق كما كانت عليه من قبل [3].

ج _الأوضاع العامة في مدينة بغداد خلال عهد السلطان مراد الرابع :

لقد سبب الاحتلال الصفوي وحروب الاسترداد العثمانية الكثير من الدمار والخراب في مدينة بغداد ،ولقد تميز تاريخ ولاية بغداد حتى أوائل القرن الثامن عشر ميلادي بالاضطرابات وكثرة تغيير الولاة إذ حكم 39 واليا بين سنوات من (1638م_1704م)[4] ،إضافة إلى التمردات الانكشارية المستمرة والكوارث الطبيعية من الأوبئة والفيضانات والقحط ،ولم تتحسن أوضاع الايالة إلا في النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي عندما تولى

1_علاء موسى كاظم نورس ،المرجع السابق ، ص 53.

2_ الشاه صفي الأول :(1629م_ 1642م) هو رابع حكام الدولة الصفوية .

3_ خليل علي مراد ، المرجع السابق ، ص31.

4_ إيناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق ،ص 280.

الحكم من حسن باشا (1704م_1723م) وابنه أحمد باشا (1724م_1747م) اللذان مهدا لقيام حكم الممالك في العراق (1750م_1831م)[1] .

_ الأوضاع السياسية :

عين السلطان مراد الرابع حسن باشا واليا على بغداد سنة 1704م واستمر عليها واليا لمدة تقرب من 20عاما استطاع خلالها تحقيق الكثير من أجل إصلاح أوضاع ايالة بغداد معتمدا في ذلك على فئة المماليك التي اهتم بشرائها وتدريبها بعد أن أدرك صعوبة الاعتماد على القوات الانكشارية التي أصابها الانحلال ،وقد وجه حسن باشا اهتمامه أولا بالعشائر العربية بسبب انتفاضاتها المستمرة وإثارتها القلائل ؛فوجه إليها كتابا طلب فيه من هذه العشائر الهدوء والسكينة مهددا إياهم بأشد العقوبات في حالة الرفض [2] .

_الأوضاع الإدارية :

كانت بغداد أكبر ايالات العراق وأكثرها أهمية ، كانت محدودة من الشمال بايالة شهر زور وايالة الموصل وجزء من ايالة الرقة ومن الشرق منطقة لرستان والبختياري وممتلكات الدولة الصفوية ومن الجنوب ايالة البصرة ومن الغرب والجنوب الغربي ببداية الشام المعروفة عند الغربيين بصحراء السورية ،وقد قسمت بغداد إلى 12 سنجق لواء في البداية ثم إلى 18 سنجق زمن السلطان العثماني أحمد الأول 1603م _1617م في بداية القرن 17 م؛ وهذه السناجق هي لواء بغداد وهذا اللواء مركز الايالة ويسمى باشا سنجاغي أي سنجق الباشا باعتباره مقر والي الايالة ، الحلة ، واسط ، سماوات ، زنكي أباد ،رماحية ،حنكولة ،قره طاغ ،ده بالا ،درتنك ،بيات ، درنة ،كرندة ،كيلان ،قرانيه ،دمير ،قبو ، آل صايح [3]، فلم تبقى حدود بغداد ثابتة بل تغيرت باستمرار ونلاحظ بصورة عامة أن هذا التغير كان على شكل توسع مستمر في حدود الايالة [4] .

_الأوضاع الاقتصادية:

يمكن القول أن السلطان مراد الرابع بقي على التنظيم الاقتصادي الذي قد وضعه السلطان سليمان القانوني ،حيث أن الأراضي قسمت إلى أراضي ملك وأراضي ميري أي ملك الدولة ويتضح مدى تأثير العثمانيين بأحكام

1_ خليل علي مراد ، المرجع السابق ، ص 332

2_ عبد الرحمان بن عبد الله السويدي ،تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ،تح: صفاء خلوصي ،ج1 ،مطبعة الزعيم ،بغداد، 1962م ،ص 23.

3_ المنشيء البغدادي ، رحلة المنشئ البغدادي ،تر:عباس العزاوي ،بغداد ،1948م ، ص42

4_ خليل علي مراد ، المرجع نفسه ، ص 47 .

الشريعة الاسلامية بخصوص الأراضي .وفي مجال الضرائب الزراعية شجع العثمانيون المزارعين على إحياء الأراضي المهملة لمدة سنة كاملة وفرضوا عليهم ضرائب تقدر بخمس الحاصل الزراعي عليه بعد السنة الأولى على أن لا يدفع هذا المزارع أي ضريبة أخرى ،لكن في المقابل كثرة الضرائب والكوارث الطبيعية والاضطرابات السياسية كلها عوامل أدت إلى قلة الإنتاج وهجرة الكثير من الفلاحين إلى المدن .أما الصناعة فاقتصرت على الإنتاج الحرفي البسيط من أجل الاستهلاك المحلي وكان لبدائية وسائل الإنتاج وتدفق السلع من الخارج أثر كبير في الحد من تطور الصناعات المحلية ،أما التجارة في مدينة بغداد فقد منحت ميزة خاصة وكان ذلك ملفتا لاهتمام الدول الأوروبية بمنطقة الخليج وموانئه المختلفة كما حققت انعاشا خلال هذه الفترة بعد أن عانت من التدهور طيلة الجزء الأعظم من القرن 16 م[1] .

_ الأوضاع العسكرية :

أما عسكريا فقد قام مراد الرابع بتعيين كوجك حسن آغا الانكشارية واليا على بغداد ، وكما قرر ترك حامية مؤلفة من 8000 جندي للمحافظة على بغداد ، وعين على قيادتها بكتاش آغا كتخذا الانكشارية . و في السنوات الأخيرة حدث العديد من النزاعات الداخلية في صفوف الانكشارية خاصة بعد الغاء نظام الدوشرمة ، اذ تضاعف عدد المرشحين للوظائف العليا و رفع من أقدار عدد كبير من الانكشارية الذين لم يتلقوا التدريب الصارم الذي كان يفرض في الأيام الأولى . وقد دخل هؤلاء في صراع عنيف فيما بينهم من أجل الوصول الى الصدارة ، و أصبح كل من هؤلاء أنصار و حلفاء ،لذلك كان حكام الولايات يعيشون تحت عقدة الخوف من مؤامرات منافسيهم . النتيجة الأخرى التي ترتبت عن الغاء نظام الدوشرمة أن أصبح لقب الوزير يمنح بإسراف بعد أن تضاعف عدد شاغلي الوظائف العليا [2] ، هذا ما كان في الوضع العسكري لبغداد في عهد مراد الرابع .

وفي الأخير يمكننا القول لقد توالت على بغداد العديد من الغزوات و الكوارث و المعارك سواء كان ذلك على أيدي الصفويين أو العثمانيين و فضلا عما أصابها في هذه العصور من الكوارث و الأوبئة و الحرائق و الفيضانات غير ان بغداد حافظت على سيادتها و بقائها .

1_ خليل علي مراد ، المرجع السابق ، ص ص 219_262 .

2_ ايناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق ، ص 287.

المبحث الأول

(العمران في مدينة بغداد خلال العهد العثماني)

* المطلب الأول : أسوار مدينة بغداد خلال العهد العثماني

*المطلب الثاني :المنشآت الدينية لمدينة بغداد خلال العهد العثماني .

* المطلب الثالث :المنشآت المدنية لمدينة بغداد خلال العهد العثماني .

المطلب الاول : أسوار مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

1_ الأسوار الشرقية لمدينة بغداد :

إن الجهة الشرقية لمدينة بغداد كانت ولا تزال إلى يومنا هذا تدعى بالرصافة ،واتفق أغلب مؤرخي بغداد على أن الرصافة كانت محاطة منذ زمن الخلافة العباسية بأسوار متصلة تحيط بها من جهاتها الأربع ، وهي مبنية بالآجر يبلغ عرضها 2،5 متر أما طواها فبلغ 9688متر ، وكان السور محاطا بعدد من الأبراج الكبيرة و الصغيرة و اختلف الرحالة في تقدير عددها ويمكن إرجاع هذا الاختلاف على انهيار عدد من الأبراج بفعل الظروف التي مرت بها بغداد[1].

و يتخلل السور 5 أبواب : الباب الأول القريب من القلعة ويسمى الباب المعظم[2] لأنه يقضي إلى الطريق المؤدي إلى الضريح الإمام الأعظم ، والباب الثاني في أعلى السور الشرقي يسمى الباب الوسطاني أو(أق أقبو).وإلى الجنوب من هذا يقع الباب الثالث باب الحلبة أو(الطلسم) الذي أغلق بعد فتح مراد الرابع لبغداد، ثم الباب الرابع الذي يقع في الجنوب الشرقي وسمي باب المظلم (باب قره قابي)، والباب الخامس سمي باب الشط(الصوقابي) الذي يقضي إلى الجسر الذي يربط الرصافة بالكرخ [3].

وصف الرحالة فريزر(fraser)سنة 1834م بقوله :" أما سور المدينة من كلا الجانبين فهو متهدم ،ومتداع ولا تزال تظهر فيه الثغرات الكبيرة التي دخل منها ماء الفيضان "[4]، حيث تعرضت هذه الأسوار إلى الانهيار و التآكل بفعل الأحوال الطبيعية أو بسبب الحروب ،وقد اهتمت الحكومة بترميمه سنة 1731م ، و ظل سور بغداد على وضعه حتى مجيء مدحت باشا عندما أمر بهد الجزء الأعظم منه ما عدا أبوابه لغرض الاستفادة من آجره لإقامة بنايات حكومية و فسح المجال لتوسيع المدينة ، ثم أمر بعد ذلك سري باشا سنة 1887م بهدم ما بقي من السور ماعدا الأبواب ، ويكتنف أسوار بغداد خندق يحيط بها من جهاتها الثلاث يتصل بنهر دجلة في بدايته شمالا وفي

1_ ناجي معروف ،" خطط بغداد" ، مجلة كلية الآداب ، العدد 4، 1961م ، ص ص 43_45 .

2_ انظر الملحق رقم 01 ص 98.

3_مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد(المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا)،مطبعة المجمع العلمي العراقي،1378هـ/1958م،ص215،

4_ جيمس بيلي فريزر ، رحلة فريزر الى بغداد سنة 1834م ، تر: جعفر خياط ، الدار العربية للموسوعات ، بغداد ، 1964م ، ص 130.

نهايته جنوبا ،وقام رشيد الكوز لكلي بهدم الخندق ثم بعد ذلك هدم مدحت باشا أكثر أقسامها وفي سنة 1910م قام ناظم باشا بردم الخندق فزالت كل معالمه [1].

2 _الأسوار الغربية لمدينة بغداد :

أما الجهة الغربية لبغداد كانت تدعى الكرخ ،تم تسوير بغداد الغربية في عهد سليمان باشا بسور يبلغ طوله 5301م وعرضه 1.5 متر [2].

يتخلل السور أربعة أبواب : الباب الأول يقع في شمال السور يسمى باب الكاظمين لأن الخارج منه يتجه الى الكاظمية ، والباب الثاني يقع مقابل ضريح الشيخ المعروف كرخي فسمي باب الشيخ كرخي ،والباب الثالث سمي باب الحلة، أما الباب الرابع سمي باب كريعات وهو يقع على ضفة نهر دجلة في نهاية السور من الجهة الجنوبية و جميع الأبواب كانت مفتوحة بوسط أبراج كبيرة ، وعلى الرغم من حداثة بناء السور إلا أنه تعرض أيضا إلى الهدم بسبب الفيضانات وعدم الاهتمام بترميمه ، وفي آخر مسح أجراه رشيد خوجة لمدينة بغداد نرى في الخريطة أن قسم السور قد زالت معالمه وخصوصا في الجهة الشرقية [3] .

المطلب الثاني: المنشآت الدينية في بغداد خلال العهد العثماني:

1_ أشهر المساجد و الجوامع في بغداد خلال العهد العثماني :

كان للعامل الديني أثر كبير على الولاة العثمانيين الذين ربطوا الدين بالدولة و جعلوا الدين رائدهم الأول وما يدل على ذلك قيام بعض الولاة بتشييد الجوامع و المساجد الكبرى ذات المظاهر الجميلة التي قرنت بأسمائهم ولم يقتصر تشييد الجوامع و المساجد على الولاة العثمانيين ونسائهم فقط ،وإنما ساهمت العامة من السكان بتشييد

1_ صبري فارس الهيتي ، "تخطيط مدينة بغداد" ، مجلة المورد ، العدد4 ، مج8 ، 1979م ، ص 19 .

2_ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين في العهد العثماني الأول ،ج6 ، الكرخ بغداد ،1373ه/1954م، ص ص 47_48.

3_ أحمد سوسة ، أطلس بغداد ، مطبعة مديرية الساحة العامة ،بغداد ، 1271ه / 1952م ، ص ص 16_ 15.

الجوامع و المساجد التي لم تكن تعرفها المدينة منذ زمن طويل على الرغم من أن هذا العهد لم يشهد بناء الجوامع الضخمة واقتصر على بناء المساجد وترميم الجوامع [1].

و كان للجوامع و المساجد قدسية كبيرة ومكانة مرموقة في نفوس الناس ولها دورها المؤثر في الحياة العامة و على الرغم من تركز أكثر الجوامع الكبرى في الجانب الشرقي من بغداد و بخاصة في المنطقة الشمالية منها حيث تحتشد الأسواق ويوجد في كل حي جامع أو مسجد [2]، لقد زخرفت مدينة بغداد بالعديد من المساجد و الجوامع التي تعتبر مؤسسات دينية و ثقافية و اجتماعية فهي من الناحية الدينية مكان للتعبد وإقامة الشعائر الدينية كالصلاة وقراءة القرآن والسنة والحديث وإقامة محافل الأذكار والمواليد النبوية ،وهي من الناحية الثقافية أماكن لتدريس العلوم الإسلامية وتعليم القراءة والكتابة ،وهي من الناحية الاجتماعية منتدى ومراكز للاجتماعات العامة سواء في الأعياد الدينية أو المناسبات الاجتماعية [3] .إضافة إلى أنها مأوى لمن لم يجد له سكنا من الفقراء ،والمسافرين ،والمتعبدين [4]، وكانت لها عمارتها المميزة التي تتناسب مع وظائفها فهي تتكون من مصلى شتائي وصيفي ،ومنارة أو منارتين ،وبعض الجوامع لها قبب مغطاة بالقاشاني المزجج ويعلو القبة هلال[5] ،ويحيط بالجامع عدد من الغرف الخاصة بخدام الجامع وبعضها خصصت لطلاب العلم وفيها محلات للوضوء والطهارة[6].

وقد بلغ عدد الجوامع في بغداد حوالي 49جامع و67 مسجدا من غير بيوت الصلاة الصغيرة ،بينما ورد عددها في سالنامة بغداد لعام 1911م ب 145 بين جامع ومسجد .ومن بين أهم هذه الجوامع والمساجد نذكر :

أ_ جامع الحسن باشا: هو من الجوامع الشهيرة في الرصافة واقع أمام دار الحكومة ،وكان مسجدا صغيرا ،قام بترميمه أبو المعالي حسن الباشا أيام ولايته على بغداد وزاد فيه وصرف مبلغا وافرا على عمارته ،وهو جامع متين القواعد والأركان ،فيه مصلى شتائي واسع جدا وعليه قباب رفيعة معقودة بالجص والآجر ،وليس فيه زخرفة ولا نقوش ،وعن شرقي المصلى مئذنة شامخة مبنية بالحجر الكاشاني الملون ،وأمام المصلى رواق واسع وفي فناء الجامع مصلى صيفي

1 _ محمود شكري الألوسي ،تاريخ مساجد بغداد و آثارها، ته: مُحَمَّد بهجة الاثري ،مطبعة دار السلام ،بغداد ،1346هـ ، ص85

2_ عماد عبد السلام رؤوف ، الحياة الاجتماعية في العراق 1749م_ 1831م ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، 1975م ،ص 58.

3_ ابراهيم عبد الغني الدروبي ، البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1377هـ _ 1958م ، ص 284

4_ مُحَمَّد الهاشمي البغدادي ،" بغداد الحاضرة" ، مجلة المقتطف ،مج 50، أبريل 1917م ، ص 380 .

5_ آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،تر: مُحَمَّد عبد الهادي ،ج 2، القاهرة ،1934م ، ص ص 122_123.

6_ محمود شكري الألوسي ، المرجع نفسه ، ص ص 37 _ 85.

عن يمين الشتائي ،وفيه مدرسة بمدرس واحد ،ومحل للتوقيت ،وحجر يسكنها خدام الجامع ،وله خمسة أبواب يسلك منها المصلون وتقام فيه الجمعة وسائر صلوات المكتوبة[1] ،وقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني بترميمه بعد أن أشرف على الدمار وذلك في سنة1892م فشيدت أركانه وعقدت قبة مصلاه على أربع أساطين من الرخام ،وبني أمام المصلى رواق معقود سقفه بالآجر ،وبنيت فيه مدرسة لطيفة وعدة حجر للطلاب والفقراء والغرباء[2] .

ب_ جامع الشيخ مندل: هو من الجوامع قديمة العهد على الحادة التي تؤدي إلى جامع الشيخ معروف الكرخ ومقبرته تقام فيه الجمع والأعياد والصلوات الخمسة ،وفيه مدرس وخطيب وإمام وواعظ وجملة من الخدم وهو رحب الساحة واسع المصلى المفروش بأحسن الفرش ،وقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتجديد عمارته بعد أن أشرف على الخراب وذلك في سنة 1892م فشيدت أركانه وعقدت قبة مصلاه على أربع أساطين من الرخام ،وبني أمام المصلى رواق معقود سقفه بالآجر ،وبنيت فيه مدرسة لطيفة وعدة حجر للطلاب والفقراء والغرباء[3] .

ج_ جامع المرادية :يعرف جامع المرادية بجامع الميدان لوقوعه في حي الميدان القائمة في الباب المعظم ،أمر بإنشاء هذا الجامع الوالي مراد باشا [4]الذي قام بأعمال عمرانية كثيرة .لا تشير المصادر التاريخية إلى تاريخ البدء في بناء الجامع الجامع ،كما اننا لم نعثر على كتابات منقوشة على جدران المبنى تذكر لنا تاريخ البدء في البناء ،إلا أن الشاعر فضلي بن شاعر فضولي ذكر لنا تاريخ البناء بأبياته الشعرية التي أنشدها في حفلة افتتاح المبنى ،وذلك سنة 1570م ,وأشار الألوسي إلى ان هذه الأبيات دونت على واجهة باب مبنى الجامع بخط الخطاط حسن علي الكاشاني ،ولما جددت عمارته أتلفت هذه النصوص [5].وقد مر على بناء الجامع أحداث كثيرة منها : صيانة المبنى عام 1889م من قبل الحاج حسن رفيق باشا ، وفي عهد والي نامق باشا جدد بناء الجامع .ونتيجة للدمار والخراب الذي اصاب الجامع

1_ محمود شكري الألوسي ، المرجع السابق، ص 31.

2_ المرجع نفسه ، ص 113.

3_ المرجع نفسه ، ص 113.

4_ كوك ريجارد ، بغداد مدينة السلام ، تر: فؤاد جميل ومصطفى جواد ، ج 1 ،مطبعة الشفيق ، 1967م ، ص 144.

5_ القصيري ، اعتماد: يوسف أحمد ، مساجد بغداد خلال العهد العثماني ،دراسة معمارية أثرية ،أطروحة دكتوراه ،جامعة القاهرة ،1402هـ/1981م ، ص 245

أصدر السلطان عبد الحميد الثاني أمره إعادة بناء الجامع على أسسه القديمة ،وكان ذلك سنة 1901م واستمر العمل فيه حتى 1902م كما هو مدون على واجهة مدخل الجامع[1] .

د_ مسجد الإسماعيلية :إذا تجاوز المار جامع الصاغة ،ومشى إلى جهة الشرق نحو سبعين خطوة لاقاه عن شماله سوق يعمل فيها الشواء الذي تعبر عنه العامة بالكباب ،فإذا دخلها رأى عن يمينه هذا المسجد في وسطها ، وهو من مساجد بغداد القديمة العهد ،فيه مصلى صغير ،وفناء واسع وحجر ،وفي سنة 1699م عمره إسماعيل باشا والي بغداد أحسن عمارة ،وفي سنة 1734م أعاد عمارته إسماعيل باشا الثاني ،وكان واليا على ايالة من ذلك التاريخ إلى سنة 1735م،فلذلك سمي هذا المسجد بالإسماعيلية ولم نرى كتابات على جدرانه وهو اليوم تقام فيه الصلوات والجماعات إلا جمع الأعياد ،وفيه إمام وجملة من الخدم[2] .

هـ_ مسجد الخضيري :مسجد صغير قرب جامع الشيخ سراج الدين في الصدرية ،فيه مصلى وحجر في الطابق العلوي والسفلي .وكان خرابا فجدده الحاج عبد الرزاق الخضيري أحد أكابر تجار بغداد من أهل البر و التقوى ،وقام بجميع ما يقتضي له من فرش وماء وضياء وخدم وذلك في سنة 1886م[3].

و_ مسجد مجيب الدين :هو مسجد قديم العهد في جانب الرصافة بينه وبين دجلة طريق عام وبعض أبنية الحكومة وهو من الجهة الغربية من بغداد واسع الساحة فيه مدرسة وفيه إمام ومؤذن وفيه قبر الشيخ مجيب الدين السهروردي[4] وكان أعيان المحققين درس بالنظامية وتصدى للإفتاء وصنف التصانيف المفيدة .وكان يلقب بمفتي العراقيين وقدوة الفريقين ،وكان يشرح أحوال القوم ويلبس لباس العلماء ويركب البغلة وترفع بين يديه الغاشية وهو عم الشيخ عمر السهروردي ،توفي سنة ثلاثة وستين وخمسمائة ودفن في هذا المسجد وكان يومئذ مدرسة له ،ولا توجد في جدرانه شيئا من الكتابات [5].

1_ انظر الملحق 02 ص 99 .

2 _ محمود شكري الألوسي ، المرجع السابق ، ص 77.

3_ المرجع نفسه ، ص 78 .

4_ نجيب الدين السهروردي:(1097م_1168م)هو فقيه شافعي ومتصوف وهو عبد القاهر ابن عبد الله بن مُحَمَّد بن عمورية بن سعد البكري الصديقي أبو نجيب السهروردي سكن بغداد وتوفي فيها ،من آثاره (آداب المريدين وشرح الأسماء الحسنى وغريب المصباح) .

5_ محمود شكري الألوسي ، المرجع نفسه ، ص 79 .

2 _ أشهر الزوايا في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

الزاوية من زوى :يقال : زوى الشيء أي نحاه ومنعه فتنحى ،وذكر في المعجم الوجيز (الزاوية): المسجد غير الجامع ليس فيه منبر ومأوى للمتصوفين والفقراء [1]، نقول :الزاوية منشأة صوفية ،أصغر من الرباط و أكبر من الدويرة ،يقوم على تأسيسها شيخ صوفي بلغ به المقام بما يؤهله إلى ذلك ،وبعد إجازته من شيخ أعلى منه في التربية والإرشاد ،ويؤسس خاصة لتربية مريديه ،بحيث لا يسعه مجلس بعد ،ويفتحها للفقراء والدراويش والغرباء وعابري السبيل وكذلك للقادمين من المدن البعيدة مع الضيافة ،وكثيرا ما تؤسس هذه الزوايا في البداية في زاوية في دار الشيخ باقتطاعه مساحة من دار عائلته ،يخصصها للعبادة والذكر والاستقبال ،والكثير من هؤلاء المشايخ دفنوا في زواياهم التي أسسوها [2].ومن أبرز الزوايا الموجودة في بغداد خلال العهد العثماني نجد:

أ_ زاوية الأوزبك :تقع في ميدان شرق بغداد المتصلة بجامع الأوزبك ،وقصة هذه الزاوية تبدأ عندما جاء بغداد ملك الأوزبك بنية الحج سنة 1650م الأمير إمام قولي خان ،فتوفي ببغداد ودفن بها ،ثم جاء ابن أخيه ملك الأوزبك عبد العزيز خان ذاهبا للحج ومر ببغداد بحدود 1679م وزار مرقد عمه وبنى عليه جامع .فالجامع والزاوية ملاصقة لباب المعظم أحد أبواب بغداد التي أزال أثرها اليوم ،يقول إبراهيم الدروبي : مدرسة جامع الأوزبك من المساجد القديمة ،وقد جدد بنائه الوزير داوود باشا سنة 1818م ،وألحق به مدرسة علمية يدرس فيها العلوم ،وقد اتخذ من ساحة المسجد الجامع الأزبكيون زاوية يقيمون فيها ،ولذا سمي الجامع بجامع الأوزبك .قصده للتدريس في هذه المدرسة علماء أعلام منهم الخواجة سعيد المقرئ ،وآخر من تصدر للتدريس فيها علامة الشيخ سالم بن مصطفى وهو تركي الأصل .وقد ألغي التدريس في هذه المدرسة حديثا وهذا النص يحدد موقع الزاوية في ساحة المسجد ،وإنها خاصة بالأزبكيين ،بينما وجدنا في نص العلامة الألوسي الزاوية في جواره ملاصقة به يقطنها الفقراء من الزوار الواردين من بلاد الأوزبك من نواحي بلخ وبخاري ،وبعد تعمير الجامع نصب لهذه الزاوية شيخا ،وأنشأ فيها سقاية مطلة على الطريق يشرب من مائها الصادر والوارد [3].

1_ معجم الوجيز ، ص 443 .

2 _حميد محمد حسن الدراجي ،الربط والتكايا البغدادية في الفترة العثمانية ،أطروحة دكتوراه ،كلية آداب ،جامعة بغداد ، 1996 ، ص 19 .

3 _ميعاد شرف الدين الكيلاني ، تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية في العهد العثماني ،دار الكتب العلمية ،بيروت/لبنان،1871م ، ص ص 99_ 101 .

ب_ زاوية الشيخ إبراهيم أبي بطغان: كانت هذه الزاوية على وضع لطيف وبناء محكم بناها شيخ إبراهيم المذكور في حي الشيخ عبد القادر الجيلي ،وكان شيخا متصوفا مسموع الكلمة وشاع عنه بين العامة أنه كان يعلم صنعة الحجر الكريم ،وقد اتخذت هذه الزاوية بعد وفاته منزلا[1] .

3_ أشهر التكايا في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

تعد التكية[2] من المؤسسات الخيرية و الاجتماعية التي كانت مأوى للمنقطعين و الفقراء من الصوفية وأصحاب الطرق ،ومنزلا للعلماء ،ومكانا لممارسة التعبد ،والخلوة والانقطاع ،ومنتدى يجتمعون فيه ،ويمارسون فيه شعائرهم الدينية كإقامة الأذكار والمواليد النبوية ،فمعظم التكايا شيدت على غرار البيوت السكنية ،أو أنها كانت بيوتا سكنية أوصى أصحابها أن يدفنوا فيها بعد مماتهم وتصبح ربط لأصحاب الطرق الصوفية ،واتخذت بعض الأضرحة الأولياء الصالحين و الزهاد من المتصوفة تكايا لإقامة المتصوفة والفقراء وممارسة عباداتهم فيها كضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عمر السهروردي والشيخ جنيد البغدادي و غيرهم ،واتخذت بعض المساجد بعد عمارتها ،وإضافة وحدات بنائية خدمية وسكنية إليها تكايا منها جامع الإحسائي ببغداد الذي كان مسجدا ومدرسة اتخذ تكية بعد أن سكنه الشيخ خالد النقشبندي[3] .

وبصورة عامة كانت التكايا على هيئة مجمع معماري يعتمد على نظام صحن المركزي المكشوف الذي تتوسطه حديقة صغيرة تتوزع حوله الوحدات البنائية السكنية و الخدمية والدينية بطابق واحد ، تضم مسجدا صغيرا شبه مستقل يشغل معظم الجانب الجنوبي من المبنى ،و حجرات للسكن ،ومطبخا ،وقاعات للدرس فضلا عن وجود المدفن الذي كان يتخذ في إحدى الزوايا أو أحد الحجرات ،كما ألحقت ببعض التكايا مكاتب لتعليم الأولاد القراءة والكتابة و قراءة القرآن الكريم .وهي بهذا أصبحت أكثر شمولية و ضخامة من المدرسة التي كانت ملازمة للمسجد

1_ محمد شكري الألوسي، المرجع السابق ، ص 107.

2_ التكية : قيل أن التكية من فعل توكأ يقال توكأ على الشيء أي التحامل على العصا في المشي أما اصطلاحا فهي مكان يستضيف المسافرين أو مكان لعابري السبيل من أجل ممارسة العبادة وتنظيم حلقات الذكر فهي ليست مدرسة وليست جامع فهي مجرد استراحة صوفية يقيم فيها من شاء من دون أي أعباء مادية .

3_ حميد محمد حسن الدراجي ، المرجع السابق ، ص 98.

وتفتقر التكايا البغدادية إلى وجود مأذنة حتى التي كانت في الأصل مسجدا ، أو بنى فيها مسجدا فيما بعد ،وتفتقر كذلك إلى ماء سبيل خانه بل كان يعمل عوضا عنه مجموعة من الجياب المملوءة بالماء توضع في جانب من الحديقة قريبا من المدخل الرئيسي ،والسقي للحديقة وفي حالات نادرة للشرب ، فالتكايا ذات طراز معماري خاص يجمع بين المسجد ،و المدرسة ،والخان ،والبيت ،والضريح وهو أمر لم يعرف في المباني الدينية الأخرى [1].

و يتألف أعضاء التكايا من الشيخ المسؤول ،و الموظفين ،وخدم الرعاية المقيمين , والوافدين من المتصوفة ،والمتنقلين عبر البلاد سعيا وراء المعرفة ،والرغبة في العطاء ولإيواء الفقراء والمتعبدين ،وإطعام الجميع ،واكسائهم وتصرف رواتب شهرية لهم وتخصص لهم ما يحتاجون إليه من زيت للمصابيح ،وصابون للتنظيف ،وتوزع الحلوى عليهم كل جمعة ،وخصصت لهم حجرات ليقيموا فيها ،فبهذا تكون التكايا بمثابة أندية اجتماعية ، وقد كان عددها حوالي 20تكية.ومن أهم التكايا في مدينة بغداد هي :

أ_ تكية القلعة :قلعة بغداد [2]قديمة الإنشاء ،وكان داخلها دور كثيرة وسوق ومقاهي ،ثم اتخذت مقرا للجيش في العهد العثماني ،وفي هذه القلعة جامع يسمى جامع القلعة ،أنشأته عائلة القلعة لي التي اكتسبت هذا اللقب من اسم قلعة ،ولجامع القلعة وقفية أشار اليها ناجي معروف في تاريخ علماء المستنصرية قال : "وقف جلال الدين بن بهاء الدين البغدادي في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة 1638م و الجامع اليوم بتولية السيد طه القلعة لي نسبة جامع القلعة ،وجلال الدين هذا اسم الوقفية جلال الدين القلعة لي"[3] .وبهذا كانت القلعة تعد حي باسم حي القلعة ،وأشار المؤرخ العراقي عباس العزاوي على تكية القلعة وصاحبها حيث قال :"أن هذا الجامع أنشأه جلال الدين ابن المرحوم بهاء الدين من محلة سكة خانة (دار الضرب) الواقعة في محلة القلعة ،وذكر في حدود الجامع تكية الملأ سعد الدين ابن السيد عبد الجليل الدوري ،وهذه التكية لا تزال ولكنها بحالة دمار ".وبهذا التوضيح فان تكية الملأ سعد الدين الدوري محاذية لجامع القلعة وإنها كانت موجودة سنة 1638م ويوجد بالقرب من هذه التكية مرقد عليه قبة يقال له السيد مُحَمَّد الزنجي[4] .

1___ حميد مُحَمَّد حسن الدراجي ، المرجع السابق ، ص 219

2_ قلعة بغداد : تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة بالقرب من الباب المعظم في حي المحرم العتيق ويعود إنشائها إلى أواخر حكم الأسرة التركمانية كوثيو في أواسط القرن التاسع هجري .

3_ ميعاد شرف الدين الكيلاني ، المرجع السابق ، ص 118.

4_عباس العزاوي ،المصدر السابق ، ج4، ص 239 .

ب_ تكية الشيخ الألفي: الشيخ مُحَمَّد الالفي ذكر عنه أنه من أكابر مشايخ العراق ،وأنه كان يصلي في كل ليلة ألف ركعة ،فلذلك لقب ب (الألفي) ،وأن مرقده في بغداد قرب الحضرة القادرية ،يزار ويتبرك بها .كتب عنه مُحَمَّد بهجة الأثري ان هذا المسجد كان زاوية فتهدمت فبناها حبيب أفندي الدركزئلي مسجدا ووقف عليها أملاكا .

ج_ التكية العيدروسية: تقع التكية العيدروسية غرب بغداد في حي السوق الجديد ، نسبت هذه التكية الى العائلة العيدروسية فهم من السادة العلوية موطنهم الأصلي اليمن مدينة تريم وعدن ، ومنها انتشروا الى مختلف البلاد ،الحجاز والهند والعراق وغيرها ، قدم جدهم الأول عبد الله باعلوي العيدروسي الى بغداد ،مطلع القرن الثاني عشر للهجرة [1].

4_ أشهر الكنائس في مدينة بغداد خلال العهد العثماني:

أ_ كنيسة الأرمن الارثوذكس :

ذكر عدد من الرحالة الذين زاروا بغداد منهم الرحالة تافرنييه[2](tavernier)الذي زار بغداد سنة 1676الذي قال :"ونصارى بغداد ثلاث فرق ،فمنهم نساطرة[3] ولهم كنيسة ،والأرمن[4] ،واليعاقبة[5] و هؤلاء لا كنيسة لهم ".،ومن هنا يتضح انه لم يكن للأرمن الأرثوذكس كنيسة في مدينة السلام ، بالرغم من أن وجودهم في بغداد يعود إلى قبل عام 1604م ، حيث وصل قوم من الأرمن الكاثوليك والأرمن الأرثوذكس وأقاموا في احياء الميدان والشورجة .حيث كان النصارى يسكنون ،وعلى نحو ربع فرسخ من المدينة كانت هناك بيعة للنصارى كانوا يقصدونها للتعبد تعرف باسم بيعة خضر الياس فكانوا يدفعون للأتراك مبلغا زهيدا لدخولها لكون مفاتيحها كانت بأيديهم ..واستولى الأرمن الأرثوذكس على كنيسة الكلدان و لاتزال بأيديهم إلى اليوم ،و قد أسموها باسم العذراء مريم ومن ثم بنو لهم

1_ ميعاد شرف الدين الكيلاني ، المرجع السابق، ص 102.

2_تافرنييه :هو رحالة فرنسي 1689م قام بستة رحلات الى اسيا من بينها العراق ،وترجم كوركيس عواد بشير فرنسيس كتابات المتعلقة بالعراق .

3_ النساطرة :وهم من أتباع النسطاروية العراقية وغالبيتهم قد نزحت إلى العراق من المناطق المحاذية للموصل بجنوب تركيا والتابعة تاريخيا وسكانيا إلى بلاد النهرين .

4_ الأرمن :هم أمة ومجموعة عرقية أصلية مقيمة في مرتفعات الأرمنية هاجرت إلى العراق وفلسطين وسوريا ولبنان سنة 301م ،وينتمي معظم الأرمن إلى الكنيسة الأرمنية الأرثوذوكسية .

5_ اليعاقبة : هم السريان الأرثوذوكس .

كنيسة جديدة في محلة رأس القرية سنة 1852م بعد حصولهم على فرمان بالموافقة على بنائها واشترك في افتتاحها الكثيرون من مختلف الطوائف النصرانية واسموها على اسم الثالوث المقدس سورب يرور نوطيون [1].

ب _كنيسة الآباء الكبوشيين[2] :

لاقى الآباء الكبوشيين صعوبات جمة أيام وافوا بغداد في سنة 1628م [3]وكانوا ثلاثة من الفرنسيين وهم كل من الأب جبرائيل والثاني الأب باسيفيك وأما الثالث فكان الأب جست. وكانت وجهتهم الحقيقية الى ايران ليؤسسوا مركزا دينيا لهم في أصفهان. ولكن قبل مغادرتهم بغداد استطاعوا أن يفتحوا مصلى في إحدى دور النصارى بعدما استحصلوا الإذن من الحكام .وعملوا احتفالا حضره جمع غفير من النساطرة و السريان و الأرثوذكس والأرمن و الروم .فاستحسن هؤلاء الآباء الكبوشيون أن يقيموا مقرا لهم في الزوراء .فابقوا واحدا منهم في بغداد وهو الأب جست فاشترى سنة 1631م دارا في محلة رأس القرية و اتخذها له ولأبناء رهبانيته مأوى و كنيسة .و كانت تلك الكنيسة على اسم القديس يوسف. وهي أول كنيسة شيدت في مدينة السلام بهذا الاسم. وقد تنعموا براحة لم تدم كثيرا فعندما فتح السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1638م رفع جماعة من مناوئي الرهبان الكبوشيين عريضة يسترحمون بنزع الدير و المعبد لأنهما يجاوران قبر الشيخ مُحَمَّد الزهري فأجاب طلبهم ولكنه اعيد اليهم فيما بعد بوساطة السنيور ميشيل الإيطالي ومدير المدفعية العثمانية في حلب و الشام و بغداد ،و ايد السلطان المذكور بفرمان سلطاني الدير و المعبد للرهبان والكبوشيين .كما أيد حقوقهم سنة 1655م السلطان مُحَمَّد الرابع .غير ان الوالي مُحَمَّد باشا الخاصكي امر بهدمهما سنة 1658م و أقام على أنقاضهما جامعا يعرف اليوم جامع الخاصكي بعد شهر واحد ندم الوالي على عمله لا سيما في اثناء مرضه اذ شفاه منه أحد الإخوة الكبوشيين. فأعطاهم دارا واسعة كانت في السابق محلا لبريد حلب ثم مقرا للسفير الإنكليزي مدير شؤون بريد شركة الهند الشرقية وفي هذه الدار سرداب واسع جعلوه كنيسة وموقعها اليوم أمام جامع الخاصكي ،وقد أوفاها نصارى بغداد على اختلاف طوائفهم[4].

1_إسحاق رفائيل بابلو ،كنائس نصارى بغداد في العهد العثماني ، الدار العربية للموسوعات ،ط1 ،2010م .ص ص10_14 .

2_الكبوشيين : هم رهبان كاثوليك سنة 1525م دعوا بهذا الاسم لأنهم يلبسون الكبوشيو على رؤوسهم ،وهي كلمة ايطالية بمعن غطاء الرأس .

3_ اسحاق رفاييل بابلو ،المرجع نفسه ، ص .17 .

4_المرجع نفسه ، ص ص16_19.

ج_ كنيسة السريان[1] الكاثوليك :

لم يكن في بغداد في عام 1715م إلا حوالي عشرين شخصا من السريان الكاثوليك وفي عام1731م اضحوا مائة و خمسين ولم يكن لهم كاهن يدير شؤونهم .وفي سنة 1783م أتى من الموصل البطريق اغناطيوس ميخائيل جروة الى بغداد على اثر وشايات كاذبة ضده .فلاذ بواليها سليمان باشا الذي وقف على براءته وزوده بتوصية إلى حاكم الموصل وأرسله إلى مركز اقامته بكل إعزاز وإكرام .وكان غبطته اذ ذاك قد حل ضيفا كريما لدى الآبار الكرمليين مدة ستة أشهر وعهد غليهم امر أبناء طائفتهم بكتاب سطره في 3حزيران 1785م .اما بغداد فكانت تابعة لأبرشية [2]الموصل .نصب السيد قورلس بهنام بشارة اسقفا على الموصل وما يليها فطفق يتردد من وقت لآخر إلى مدينة السلام .فقد وافاها سنة 1798م وأقام فيها كاهنا الشماس عبد الكريم بن حنا عبد النور وعاد به إلى الموصل بعدما جاءها في سنة 1813م وفي سنة1817م واهتم بأمور أبناء رعيته .فأرسل اليها كهنة من الموصل ومن قرية قرقوش اذا لم يكن لهم كاهن إلى سنة 1785م.ومن اقدم القساوسة البغداديين للسريان الكاثوليك القس يوسف البان والقس يوسف سكمان الذي خدم طائفته في بغداد زهاء اربع واربعين سنة من1855م الى1899م [3].وكان السريان الكاثوليك يعرفون إلى تلك الآونة لدى الحكام و الولاة بالسريان الارثوذكس .فطالبوا الدولة العثمانية بحقوق طائفتهم فأيدتها بفرمان في سنة 1838م و خولتهم أن يشيدوا كنيسة خاصة بهم .وبعد وفات الأسقف فركس المذكور اقيم مطرانا على أبرشية الموصل وما يليها عيسى محفوظ فأتى الزوراء سنة 1838م ومكث فيها ثلاث سنوات وفي سنة 1841 م أتاها ثانية وعمل على تأسيس كنيسة لطائفته ،فابتاع سنة 1841م الدار الواقعة في الدرب الشرقي المؤدي اليوم إلى مدخل الكنيسة السريانية الحالي بخمسة آلاف قرش وهذه الدار الأولى للكنيسة الأولى للسريان الكاثوليك في بغداد ،وأنجز بنائها و قدسها المطران عيسى محفوظ و أقام قداسا بين جدرانها ودعاها باسم العذراء مريم المحبول بها بلا دنس ،وعلق صورتها أعلى المذبح .و بمرور الزمن ازداد عدد السرايا الكاثوليك في مدينة السلام ،فأراد البطريق انطوان سمحيري أن يفصل بغداد عن ابرشية الموصل . فأقام أسقفا عليها في سنة 1862م المطران اثناسيوس روفائيل جرخي وهو اول أساقفة بغداد للسريان الكاثوليك الذي عزم أن يشيد كنيسة جديدة

1_ السريان :هم مجموعة عرقية دينية تسكن في شمال ما بين النهرين في عراق وسوريا وتركيا وإيران وهنالك أعداد منهم في بغداد ،وينتمون إلى كنائس مسيحية كالسريان الأرثوذكس والكاثوليك .

2_ الأبرشية :تعتبر الأبرشية في بعض أشكال المسيحية أصغر وحدة في النظام الكنسي وهي جزء من أجزاء المركز يرأس الأسقف الكنيسة الخاصة بها وهي وحدة قطاعية كنسية رئيسية في الحكم الكنسي .

3_ اسحاق رفائيل بابلو ، المرجع السابق ، ص 42.

معتمدا على سخاء أبناء رعيته فابتاعوا دورا ملاصقة للكنيسة القديمة ،وكان المطران عيسى قد ابتاع دورا من اموال كانت وقفا من اشخاص ودمجوها في فناء الكنيسة [1].

د_ كنيسة الأرمن الكاثوليك :

في سنة 1805م أرسل البطريرك الأرمني غريغوريوس بطرس الخامس كوبيلان إلى بغداد الدير خوكاس الأرضرومي ليقف على شؤون طائفته ،فاشترى وبمساعدة آخرين وأموال البطريرك غريغوريوس دارا كبيرة و أخرى صغيرة ملاصقة بها ،وكان موقعهما في محلة سوق الغزل في الموضع الذي تقوم فيه كنيسة الأرمن الكاثوليك الحالية .ثم هدمت الدار الصغيرة و أضيفت إلى الكبيرة فأصبحت دارا واحدة اتخذها الكهنة مسكنا ومصلى يقيمون رتبهم الدينية في إحدى غرفها المبنية في الطابق الثاني .وفي سنة 1810م ترك الدير خوكاس بغداد ،وسافر الى مدارس ،فأرسل عوضه سنة 1811م الدير إيساهاك ميكايليان الأرضرومي فكان كاهنا غيورا على أبناء طائفته فلقب برسول بغداد العامل ، وفي سنة 1821م جاء إلى المدينة السلام الدير إسطفيان بن انطوان فيتسمادنيان الانقري الذي جد في ابتياع دور مجاورة لمسكنه ملاصقة بالمصلى وذلك سنة 1827م وشاركه اشخاص اخرين في ابتياع دور أخرى وتم وقفها للكنيسة .وفي سنة 1835م ارسل إلى بغداد الدير كريكور اسدفاظا دوريان الذي اجتهد في بناء الكنيسة الحالية فنالوا سنة 1840م البراءة السلطانية ،ووضعوا حجرها الأول سنة 1841م فأدمجوا في بنائها الدور التي ابتاعها الكهنة الذين سبقوا مجيء الدير كريكور إلى بغداد .وفي سنة 1843م وصل بغداد الدير توماب صمجيان البغدادي فسعى لإنجاز الكنيسة ،وقد أتمها سنة 1844م وكان اسمها أولا أم الملخص ،غير أنه قد أبدله باسم سيدة الانتقال ،ثم قدسها باحتفال عظيم المطران عيسى محفوظ .ويقال أن نفقات بنائها بلغت الف ليرة عثمانية، وفي سنة 1883م فتح الدير فيلبس مفاكيان البغدادي عدة شبابيك في جدران الكنيسة وجدد ابوابها ومذابحها وأبقى صورة سيدة الانتقال الكبيرة التي في اعلى المذبح الكبير .وكان الواقف على تصاميمها المهندس الفرنسي تورنيه وهي لا تزال قائمة الى يومنا هذا[2].

1_ اسحاق رفائيل بابلو ، المرجع السابق ، ص ص 41_46 .

2_ المرجع نفسه ، ص ص 47 _ 56

المطلب الثالث: المنشآت المدنية في بغداد خلال العهد العثماني :

1_ أشهر الأحياء في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

يوجد في مدينة بغداد داخل السور من عدد كبير من الأحياء التي توصف بأنها حلزونية الشكل ذات امتداد غير منتظم في نهايته ،وتتكون كل حي من شارع عريض نسبيا ،وأزقة ضيقة تابعة له ومتصلة بها تعرف بالعقود [1]، والزقاق أشبه بالنفق الذي يمتاز بجوه الهادئ وظله الوفير، عرضها لا يتجاوز 2متر عند قاعدة المنزل[2] .ويرجع ضيق الأزقة و التوائها إلى سوء التخطيط أو انعدامه في بعض الحالات ،فبعد أن تهدم الكثير من الدور بسبب الفيضانات سنة 1831م شرع الناس لاختطاط مساكنهم حسب ما يشتهون ،ويمكن إرجاعها إلى طريقة البناء في تلك الحقبة التي لم يكن هناك حاجة فيها لأزقة واسعة إضافة إلى أنها كانت تحميهم من أشعة الشمس المحرقة التي يتصف بها مناخ بغداد في فصب الصيف حيث يسير المارة في ظل البيوت القائمة على جانبي الأزقة الضيقة فلذلك كانوا يميلون إلى تلك الأزقة الضيقة [3].وتختلف الاحياء من حيث السعة فأكبر الاحياء تتكون من 14عقدا وأصغرها من 4عقود ،ويضم الحي في الغالب جامعا وحماما وسوقا ومقهى فضلا عن وجود أصناف مختلفة من أهل الحرف داخل الحي ،فيختص كل عقد في الحي بصنف معين من الحرف مما يولد الحالة في الاكتفاء الذاتي في الكثير من الأمور ولذلك نلاحظ طغيان اسم الصنف على اسم العقد ،فعرفت الكثير من العقود باسم الأصناف التي اختصت بها ويرجع بسبب تقارب أهل الصنف في عقد واحد إلى التنظيم النقابي. وما يتطلبه من تقارب منتسبي الصنف الواحد لضمان سهولة الاتصال ببعضهم البعض ،ولغرض سهولة جمع الضرائب ومن هذه العقود :عقد المحاربة ،عقد الصابونجية ، عقد الحائكين ،عقد الخبازين ،عقد النجارين ،عقد السقائين ،عقد العلاوي ،عقد التبانة .....[4] .

ولم تكن ثمة قاعدة محددة تقسم المدينة على أساسها إلى أحياء ففي الوقت الذي قسم الرحالة الهولندي آينهولت(Anijeholt)المدينة إلى 4أقسام وهي :أحياء الميدان التركية ،وأحياء العرب والمسحيين واليهود ،ونرى يوليوس ينريش بيترمان(julius heinrich petrmann) يذكر أن المدينة تقسم إلى 18حي يشتمل عليها

1_ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص 67.

2_ جيمس ريموند ولستيد ، رحلتي الى بغداد ، تر: سليم طه الكريتي ، بغداد ، 1984م، ص 72.

3_ عبد الرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، بغداد ، 1977 م ، ص 43.

4_ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع نفسه ، ص 68.

القسم الأسير من نهر دجلة[1] ،ولكن بشكل تقريبي يمكن الاعتماد على تقسيم جونز(jones) لأحياء بغداد الذي حددها ب 58حي منها 43حي في الجانب الشرقي ،و15حي في الجانب الغربي ،ثم بعد ذلك التقسيم الشيخلي لأحياء بغداد في بداية القرن العشرين ،وعند مقارنة هذه التقسيمات نلاحظ التغيرات التي حصلت خلال هذه الفترة على أحياء بغداد ،فدمجت بعض الأحياء في حي واحد مثل :حي شاه قولي وحي جامع الوزير في حي واحد تعرف حي جديد حسن الباشا ، وبعض العقود تحولت إلى أحياء مقلدة عقد تبه كرد تحول إلى حي تبه الكرد ،وعقد بني سعد إلى حي بني سعد وغيرها، إضافة غلى تغيير أسماء الكثير من الأحياء ،وظهور أحياء جديدة .ونستدل من هذه التغيرات التوسع في البناء والزيادة في السكان مما أدى إلى زيارة أحياء بغداد بحيث وصل إلى 83حي (61حي في جانب الرصافة و 22حي في جانب الكرخ)[2].

كان الحي يشكل الوحدة والتضامن الاجتماعي في بغداد ،وتتجلى فيه العصبية المدنية[3] ، وهي تشبه العصبية القبلية ،فتأثير النظام الاجتماعي القبلي في تركيب بعض الأحياء السكنية يرجع إلى أن كل عشيرة تحتل حي خاص بها فيصبح كل حي وحدة إدارية مستقلة أو شبه مدينة مما يسهل الإدارة ،وجمع الضرائب من السكان وتكون كل جماعة مسؤولة بالإجماع عن منطقتها برعاية أحد الأشخاص البارزين [4].ومن الأحياء [5]المعروفة في بغداد خلال هذا العهد :

أ_ حي حيدر خانة : هو من أحياء بغداد القديمة الواقعة في الجهة الشرقية منها في جانب الرصافة ،في شارع الرشيد ولقد كان هذا الحي يسمى بحي سوق الثلاثاء في عصر الدولة العباسية ،وهو حي واسع يتفرع الى دروب وأزقة صغيرة لكل منها اسم خاص ،وكل درب سمي باسم حي لاحقا [6]،مثل درب الخبازين وهو حي العاقولية حاليا، ودرب الدينار الذي سمي بشارع المأمون ،ودرب زاخا وهو جزء من شارع المتنبي ،وقد عرف سوق الثلاثاء عن طريق ما كتب في وقفيات القرن الحادي عشر الهجري بسوق السلطان أو السوق السلطاني أو السوق الطويل ، أما حي فقد

1_ سعاد هادي العمري ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب ، بغداد ، 4 195م ، ص 47 .

2_ محمد رؤوف الشيخلي ، مراحل حياة بغداد في الفترة المظلمة وما بعدها،ج1،البصرة ،1972م ، ص 72 .

3_ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص 67 .

4_ عبد الرزاق عباس ، المرجع السابق ، ص 43.

5_ انظر الملحق رقم 03 ص 100.

6_ ابراهيم عبد الغني الدروبي ، المرجع السابق، ص 272.

عرفت بالحيدر خانة في القرن العاشر هجري ،مما دل على وجودها قبل ذلك التاريخ بفترة محدودة ،وقيل إن حيدر خانة اسم تكية قديمة تنسب لشخص اسمه حيدر ،وكان موقعه في مدخل سوق الحيدر خانة القديم ،وقد بيعت من قبل متوليها في عان 1926م ،فهدمت وحولت إلى فندق ،ويتوسط الحي جامع حيدر خانة التاريخي الذي أنشأه الخليفة الناصر لدين الله في العهد العباسي ،الذي يسميه أهل بغداد بالجامع الثائر ،لأن كان ساحة للاجتماعات ومنبرا للجهات الوطنية بشخصياتها السياسية والدينية في العهد الملكي ،ومنه انطلقت شرارة ثورة العشرين في العراق ،وأعيد تجديده مرات عديدة الى أن أعاد بناؤه داود باشا عام 1827م ،ويعد الجامع من أبرز معالم الحي في عهد الدولة العثمانية ،ومن معالمها الأخرى جامع والي بغداد حسين باشا السلاحدار الذي جدد عمارته عام 1673م ،وتحتوي هذه الاحياء على منزل والي بغداد أحمد باشا ،وتقع قبالة جامع حيدر خانه مباشرة ،وقد تحولت بعد أن باعها ورثتها إثر انهاء الحرب العالمية الأولى إلى مدرسة شماس اليهودية ثم إلى إعدادية (شرافت الايرانية)ثم اندثرت تمام ،بعد ان تحولت كغيرها من الشواخص الأثرية مثل المقاهي القديمة و غيرها من المحال تجارية [1].

ب_ حي جديد حسن باشا : واحد من الأحياء بغداد القديمة والعريقة التي عاصرت نخبة كبيرة من المثقفين والأدباء و الشعراء و السياسيين المخضرمين وكانت يوما من الأيام سيدة بغداد الأرستقراطية وحركة الشارع السياسي و حصل على لقب شارع الصحافة بسبب انتشار أهم المطابع و الصحف فيها .تقع ما بين شارع المأمون شرقا ونهر دجلة و مبنى القشلة وشارع المتنبي من الجنوب وشارع الرشيد شمالا و شارع حسان بن شابت من الغرب ومن أشهر عقودها عقد صالح وعقد المتولي وهي قريبة من سراي الحكومة أيام الدولة العثمانية ومن ثم مجلس الأمة وأمانة بغداد في العهد الملكي ومازالت المنطقة إلى يومنا هذا تحمل آثار الماضي [2].

2_ أشهر الأسواق في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

هي المراكز التجارية الرئيسية في المدينة التي تجري بواسطتها المعاملات التجارية بين تجار الجملة، والمفرد، و ذوي الحرف ،و المستهلكين ومن المظاهر الحيوية التي اتسمت بها بغداد هو كثرة اسواقها .وقد اتخذت اعتبارات عديدة في تنظيم الأسواق :

1_ يعقوب سركيس ، مباحث عراقية ، ج 1، طبع شركة التجارة المحدودة ، 1948 م، ص 330 .

2_ رائد جعفر مطر ، موسوعة شذرات المطر ، أرشيف كتابات ومنشورات المهندس رائد جعفر مطر ، الأربعاء 23 اغسطس 2017 .

أ:تركز الأسواق الأكثر أهمية في المدخل الرئيس للمدينة باعتبارها مركزا لتجمع التجار، وأهل الريف، والوافدين من الأقطار البعيدة للتزود بما تنتجه المدينة وما يصل إليها من بضائع و السلع[1]،فلذلك كانت تحيط بالميدان ،والسراي ،وتمتد جنوبا حتى وسط المدينة [2].

ب:بتظيم الأسواق بشكل حلقات متتابعة وفقا لأهميتها الاجتماعية و الاقتصادية فالأسواق المتخصصة ببيع الملابس ،والصناعات الجلدية ،و الصباغة ،والأثاث المنزلية ،والسراجة تتركز بالقرب من السراي .

أما السلع الاستهلاكية و الكماليات الأخرى مثل علاوي التمور والخضر والفواكه ،وأسواق المواعين و العطارين فتتركز في الأزقة السوقية الخلفية لمواضع سوق السلع الأول .وتقع الأسواق أصحاب الحرف بعد الأسواق التجارية حيث يكثر فيها الازدحام .وهناك حرف خصصت لها أماكن بعيدة عن المدينة إما لطبيعة السلع ،أو لظروف أصحاب هذه الحرفة ،كتلك التي تتطلب اتصالا وثيقا مع عالم الريف ،أو تتطلب أماكن واسعة ومفتوحة ،أو تتسبب إزعاجا كبيرا للمواطنين المجاورين تقع في ضواحي المدينة مثل أسواق الماشية ،والجزارين ، و الدباغين[3] .

ووفقا لمبدأ التخصص كان لكل نوع من أنواع التجارة ،أو الحر فسوقا باسمها ،فمن سوق القصر تتفرع مجموعة من الأسواق المتخصصة في ضروب التجار الذي يستطيع أن ينتقي مما يحتاج إليه من السلع في وقت قصير لتقارب المحلات التي تعرض البضائع المتشابهة ،فضلا عن ذلك لا يستطيع التاجر أن يرفع سعر سلعته خشية المنافسة لها من نوع السلع نفسها .وإذا أردنا أن نصف أسواق بغداد فهي أجزاء من الشوارع العامة التي تميزت بامتدادها ,وفقرها الى التخطيط المنظم ،وسقوفها لاما تكون معقودة بالطابوق ذات الأطواق العالية المزينة أو مرفوعة بالقبب على أعمدة حجرية قوية [4]،و مسقفة بالجملون المتخذ من الخشب المغطى بالبواري و الحصران ،والقصب الممزوج بالطين الأحمر ،وهناك أسواق مسقفة بأغصان الأشجار وسعف النخيل[5] ،أو بالقماش الخشن المشدود بجبال متعارضة تمتد من سقف لآخر أو مسقفة بالصفيح [6]، وتكون هذه الأسواق صغيرة ذات معقودات .

1_ طارق نافع الحمداني ، الملامح السياسية والحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، لبنان ،1989م ، ص 155.

2_عماد عبد السلام رؤوف , المرجع السابق ، ص 55.

3_ طارق نافع الحمداني ، المرجع نفسه ، ص 156.

4_ محمود شكري الالوسي ، أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، تح: عماد عبد السلام رؤوف، الدار العربية للموسوعات ،لبنان، 2008م، ص116

5_ جيمس ريموند ولستيند، الصدر السابق ، ص 77.

6_ مُحَمَّد الهاشمي البغدادي ، المرجع السابق ، ص 379.

اعتمد الرحالة انيهولت (Anjeholt)سقوف الأسواق أساسا لتقسيمها إلى عامرة وخربة ،فيقول "يقضي الميدان إلى الأسواق وهي مختلفة البنيان منها العامر ،والخراب ،ومنها القديم الذي يتميز بأعمدته المزينة بالنقوش ،وأقواسه الضخمة .ومنها التي تكون من أروقة بسيطة ذات سقوف من الخشب ،وسعف النخيل ". وكانت الأسواق المسقوفة مزودة بفتحات كافية لتوفير الضياء الكافي بأقل حرارة ممكنة لضمان حركة الهواء داخل الأسواق ،وقد بلغ عدد الأسواق 77سوقا دليلا على النشاط التجاري في بغداد .كانت أسواق بغداد تغص على الدوام بمختلف الأصناف من البضائع والسلع المحلية و المستوردة من الهند ،وكشمير ،وبريطانيا من الأقمشة والملابس والأصباغ والزينات التطريزية ،والسيوف ،والبنادق والأحذية ،والعطور وغيرها[1] .فالأسواق مركز لتجمع فئات كثيرة من السكان فهناك كثير من الأمور التي ترتبط بالحياة الاجتماعية يكون مصدرها الأسواق لأن الأسواق أحد المراكز الحضرية في المدينة ،فإنها في الغالب تؤثر في نفوس القادمين إليها من الأطراف فإما أن تغير قسما من طبائعهم الاجتماعية أو إنها تشجعهم على الهجرة من الريف إلى المدينة .ولم تكن الأسواق العديدة متباينة في تلك المدن مراكز اقتصادية فحسب بل إنها كانت أيضا مراكز اجتماعية إذا اتصفت بتلاصق حوانيتها وأمام كل حانوت مكان يشبه المصطبة يجلس عليه التاجر ومن يتردد عليه من العملاء والصدقاء فهي لذلك أيضا مراكز إعلامية لنقل الأخبار. ومن الأسواق المعروفة في بغداد :

أ_ سوق البزازين :هذه السوق معروفة بسوق الجوخة جية اليوم وهي خاصة ببيع الأقمشة من نوع الجوخ المستورد من الخارج وفيها الأقمشة الحريرية و القطنية على اختلاف أنواعها[2].

ب_ سوق القزازين :إن هذه السوق كانت عامرة وتباع بها أنواع الأقمشة من الحرير و القز من صنع بغداد وتباع بها الحزم الهميان و الحيص وهي الحزم الخاصة للشبان و الصبيان وأحسن نوع يسمى الحلاوية نسبة إلى مدينة الحلة[3] .

ج_ سوق السراجين :سوق لها مكانتها بين أسواق بغداد وهي خاصة بعمل السروج جمع سرج الخيل كما تعمل الصناديق المكونة من جلود الغنم الخاصة للسفر وفي محلها اليوم سوق الصاغة المتصلة بسوق السراي والمعروفة اليوم بسوق الشابندر .

1_ جيمس ريموند ولستيند، المصدر السابق ،ص 79.

2_ عبد الكريم علاف ، بغداد القديمة ، ط 2، الدار العربية للموسوعات ، بيروت / لبنان ، 1320هـ / 1999م ، ص 55.

3_ المرجع نفسه ، ص 56.

د_ سوق الصفارين :إن هذه السوق خاصة للصفارين وهي تكتظ بدكاكينهم ،ببضاعة الأواني النحاسية من قدور و أواني و طسوت وأباريق وغيرها ،وليس في هذه السوق دكان لغير الصفارين وهذه الدكاكين تعرض بها المصنوعات النحاسية وتصنع فيها الأواني فهي معامل معارض متراصة فلا تسمع إلا طرقا يصم الآذان ولا ترى إلا عملا متواصلا ولهيبا متصاعدا[1].

هـ_ سوق اليمنجية :وتسمى سوق الزنجبيل تشاهد فيها الأحذية الوطنية من النوع اليمني الأحمر اللماع معروضة للبيع بجميع أنواعها ومنها ما يسمى قبة لورطة و الزكار و كوجك لزكار و مركوب وأحسن يمني هو المعروف بعمل ابن البناء ،أما الأحذية النسائية فهي لا تزيد عن نوعين نوع يسمى سراي لي وتلبسه الخواتين و الآخر يسمى عجمي وتلبسه بقسة النساء [2].

3_ أشهر المقاهي في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

كانت المقاهي مركزا للتفاؤل يرتادها الناس من وجوه شتى، وأنحاء مختلفة لقضاء وقتهم بالأحاديث الشيقة والفكاهات الممتعة ، والنكت المسلية ، والالتقاء بالمعارف ، والأصدقاء لمعرفة أخبار بعضهم البعض ، ويتبادلون وجهات النظر في أمورهم الخاصة والعامة حيث يجلسون لشرب الشاي والقهوة ، ويدخنون ويلعبون اللعب كالدومينو المسلية ، والمنقلة ، والطاولي[3] .وتحتوي أغلبية المقاهي على قصة خون أي القصاص الذي كان يتميز بمكانة مرموقة في المقاهي حيث يجلس في مرتفع ، ويقص على الناس القصص و الأساطير بصوت جهوري مصحوب بالإيماءات و الإشارات لتصوير الموقف الذي يتحدث عنه ، فيتفاءل الناس مع قصة التي يرويها ، ويوجد في بعض المقاهي عازف الربابة إلى جانب القصة خون الذي يعزف بغناء العتابا والنايلة الشائع آنذاك في بغداد [4].

1_ انظر الملحق رقم 04 ص 101.

2_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 58.

3_فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، الحياة الاجتماعية في بغداد(1247_1336هـ/1831_1917م)،ط1، الدار العربية للموسوعات، 2017م /1438هـ ، ص 86 .

4_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع نفسه ، ص 87.

أما المقاهي التي تنشأ بالقرب من الأسواق فهي أماكن لتجمع التجار و أصحاب الحرف و الالتقاء ذوي الحاجة من الناس ، تناقش فيها أمور التجارة ، و البيع ، و الشراء و العقود التجارية وغيرها من الأمور الاقتصادية [1].و حاول أصحاب المقاهي إضفاء كل جديد على مقاهيهم لكسب أكبر عدد من الرواد في سنة 1904 م عندما دخل جهاز الحاكم (فوتوغراف)في بغداد سارع أصحاب المقاهي لاقتنائه فانتشرت عادت سماع الأغاني أو التراتيل الدينية داخل المقاهي ، ثم دخل بعد ذلك جهاز آخر منظور (الفرامافون)[2].

وقد اختصت المقاهي بالطبقة الراقية من المجتمع لما تميزت به من تنظيم وترتيب مثل مقهى كل وزير الذي تميز بأسلوبه الرائع في معاملة الزبائن ،وتقديم الشرب والشاي، ومقهى القرائخانة الذي تميز بترتيب مقاعده وباستطاعة رواده قراءة الجرائد التي تصدر في بغداد فضلا عن الجرائد التركية لما يتميز به من هدوء .وهناك من المقاهي ما تميزت بغرابتها ، ولطافتها في نفس الوقت مثل قهوة البلابل التي كان زوارها من صنف هواة البلابل ، ولا يخرج حديثهم عن دائرة الكلام بالدواجن و أنواعها وطرق تربيتها والتفاخر بأنواع البلابل التي حفظوا أنسابها ، وقد يؤدي التفاخر إلى التنازع فيما بينهم[3] .

ازداد عدد المقاهي خلال هذه الحقبة قدرها جونز(jones)عام 1746 م حوالي 96مقهى في جانب الرصافة فقط، ونلاحظ أن عددها تجاوز 210 مقهى كما ورد في سالنامة بغداد 1316 هـ و هذا عدد المقاهي المشهورة فقط أما واقع الحال فكان عددها أكبر من ذلك. وبعدما عرف البغداديون الشاي ظهرت أماكن شبيهة بالمقاهي لكنها أقل سعة عرفت باسم بالجاي خانة تقدم الشاي إضافة إلى تقديم القهوة لذلك وجدت في كل محلة من المحلات بغداد يجلس فيها أبناء المحلة الواحدة في مختلف الاختصاصات و الأصناف بعد صلاة العشاء مدة ساعة أو ساعتين بصورة عامة يزداد رواد المقاهي والجاي خانات في الشتاء لأن الناس تفضل المقاهي القريبة من ضفاف نهر دجلة في فصل الصيف .ومن المقاهي التي اشتهرت في بغداد :

أ_ مقهى السبع : عرف هذا المقهى باسم صاحبه سبع وهذا الرجل من القهواتية القدماء و عرف بدماثة أخلاقه وطيبة سريرته و من أعماله التي عرف بها أنه كان يعرف المعوزين الذين يترددون إلى مقهاه وهؤلاء من الطبقة التي

1_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق، ص 63

2_ محمد رؤوف الشيخلي ، المرجع السابق ، ص 78.

3_ ابراهيم عبد الغني الدروبي ، المرجع السابق ، ص ص 390 _ 491.

يقال في أفرادها (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) فلا يطالبهم سبع بأجور المقهى وقد كان موضع احترام رؤساء الحكومة من العسكريين و ملكيين وأصبح محل هذا المقهى مدرسة المأمونية التي أصبحت اليوم مديرية معارف لواء بغداد المركز[1] .

ب_ مقهى وهب : ويأتي بعد مقهى سبع بالميدان مقهى وهب ويقع في باب القلعة ثكنة المدفعية والمدفع بالغة التركية طوب لذلك تسمى ثكنة المدفعية طونجانة و إليها نسبت محلة الطوب في بغداد و بمحل هذا المقهى الآن دائرة مصلحة إسالة الماء بعد أن شيدت[2] .

ج_ مقهى المميز : يقع هذا المقهى على رأس الجسر القديم ويطل على نهر دجلة محاذيا لدائرة كمرك والمكوس القديمة و على الأغلب هو جناح من أجنحة مدرسة المستنصرية وفي ليالي رمضان كان المغني العراقي أحمد زيدان يغني فيه المقام العراقي وهو يموج بالناس و يستمعون إليه [3].

د_ مقهى العنبار : يقع هذا المقهى في محلة المصبغة في جانب الرصافة ويتردد إليه أناس من طبقة التجار ويعتبر هذا المقهى المقر التجاري يوم ذاك كالبورصة في هذه الأيام لأن محلة الرواق و خانات المخازن الجملة القريبة من هذا المقهى و أكثر رواده تجار اليهود الذين بيدهم مقاليد التجارة [4] .

4_ أشهر الخانات في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

الخان [5]هو المكان الخاص بإقامة التجار وحفظ أمتعتهم وبضائعهم وتوفير السكن للمسافرين وحمايتهم ،ومكان للبيع تجري به المزايدات والمضاربات والاتفاقيات التجارية ،اضافة الى أنه مكان خاص بالمكارية و ايواء اللاجئين وأبناء السبيل وحفظ الأموال و بناء على هذا فان وظيفة الخان تجارية وسكنية ،ولما كانت بغداد مركزا تجاريا فقد تميزت بكثرة أسواقها فارتبطت الخانات بوجود الأسواق التي تركزت بالقرب منها فصمم كل جزء من الخان لكي

1_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 61.

2_ ، المرجع نفسه ، ص 62

3_ المرجع ، نفسه ، ص 63.

4_ المرجع نفسه ، ص 64

5_ الخان :لفظة فارسية معربة التي تعطي معنى البيت أو الموضع ، بطرس البستاني ،محيط المحيط ، مج1، بيروت ،1870م، ص609.

يؤدي وظيفة معينة لها علاقة بتسهيل مهمة التجارة ومن يقوم بها [1]، ويفهم من المذكرات بعض من اجتاز بغداد من الأوروبيين في أوقات مختلفة بأن جميع القوافل التجارية التي كانت تقصد المدينة عليها أولا أن تفرغ حمولتها في أحد المراكز كمرك[2] ليستوفي منها الرسوم المقررة وبعدها توزع على الخانات كل حسب البضائع المخصصة له حين تصريفها أو إعادة تصديرها بواسطة السفن أو الجمال إلى مدن الأخرى .

لهذا تتوقع كثرة الخانات وازدحامها في أغلب أيام السنة لكثرة القوافل التي تتدفق إلى المدينة كل يوم وهي مثقلة بالبضائع فقد كان عددها 32 خانة كما ذكرها جونز سنة 1842م .وأوصل بعض الباحثين عددها في نهاية القرن التاسع عشر إلى 118خانة [3].وقد ورد في سالنامة بغداد سنة 1316م بأن عددها 208 خانة . بعضها خاص بالمكارية وإيواء الدواب وبعضها الآخر كان في الأسواق يشغلها التجار ،وبإلقاء نظرة سريعة على خارطة المركز التجاري لمدينة بغداد ،وبشكل خاص سوقي باب الآغا و الشورجة نلاحظ انها عبارة عن كتل بنائية متجاورة تفصل بينها أزقة ضيقة توزعت على جانبيها حوانيت صغيرة ،هذا التخطيط جاء متناسبا مع ازدحام المدينة التي تميزت بتلاصق مبانيها وضيق دروبها الفرعية وافتقارها للفسح الخالية ،ويعود هذا التخطيط الى المدن الاسلامية[4] ،الذي تطور ليصبح قاعدة يستند اليها النسيج الحضري لمراكز المدن التجارية .تتكون الخانات من بنايات مربعة ومستطيلة الشكل تتألف من طابقين يتوسطهما صحن مركزي مكشوف باستثناء خان المرجان الذي يعرف باسم خان الأورتمة بمعنى الخان المسقوف ،وتتوزع حول الصحن وحدات بنائية وسكنية والخدمية في جهاتها الأربع من أجل تسهيل عملية دخول وخروج البضائع إلى الأسواق المحيطة بها .وقد خصص الطابق الأرضي وساحته كمرابط للحيوانات ،أو أماكن لحفظ السلع و البضائع ، أما الطابق الثاني فيستخدم لأغراض السكن ، و مبيت التجار ، و كانت خانات بغداد تفتقر إلى الخدمات الضرورية بسبب خلو غرفها من الأثاث إذ غالبا ما كانت تفرش بحصر القصب للتعويض عن تلك المستلزمات ، وبذلك يضطر النزيل إلى جلب فرشه ، و ما يحتاجه من لوازم تعينه على الإقامة معه ، و من البديهي أن يكون للخان نظام يفرض من قبل الإدارة التي يشرف عليها عادة القيم (الكيم) [5]الذي تسميه بعض

1_ طارق نافع الحمداني ، المرجع السابق ، ص 163.

2_ الكمرك : لفظة لاتينية بمعنى الضريبة ، عبد اللطيف بندر واخرون ،المعجم التركي العربي ،ج2، بغداد، 1981م ، ص 126.

3_ محمد رؤوف الشيخلي ، المرجع السابق ، ص 63.

4_ محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، الكويت ، 1988م ، ص 257.

1_ الكيم : جاءت هذه اللفظة كاسم وظيفة على بعض الاثار العربية بدلالات مختلفة.

المصادر العربية بالخاني أو الخانجي والذي يكون مسؤولا عن سلامة التجار ، وحماية البضائع ، و في بعض الأحيان يكون مسؤولا عن حفظ الأموال خاصة في الخانات التي توفرت فيها أماكن لإنجاز بعض أعمال الصيرفة حيث يودع التجار أموالهم لدى الكيم ، و لا يتقاضى أجرا على إدارته للخان سوى ما يتكرم به النازلون في الخان له و على أن تدفع له قيمة الاحتياجات[1] التي يجهزهم بها وغير ذلك مما تحتاجونه ، و كانت أكثر الخانات تتركز في جانب الرصافة أما الكرخ فيحتوي على عدد قليل منها [2]وقد شهدت هذه الحقبة الزمنية ازدياد عدد الخانات بسبب نشاط الحركة التجارية ولقد شيدت الكثير من الخانات من أجل البر و التقوى أي وفقا على المباني العامة الدينية و المساجد و المدارس و غيرها ، لذلك فتحسب غلتها لتصرف على ترميم وتوفير المستلزمات الضرورية لها ، و الصرف على القائمين بأمرهما كما يحسب بعضها على العلماء ، أو الفقراء و الأيتام ، أو المساكين ، أو العاجزين عن الحج و تجهيز العروس لزوجها .ومن الخانات المعروفة في بغدادا :

أ _خان الناصرية[3] و الحصوة [4]: ذكر الرحالة السير واليس برج (S.W.Bidge)في رحلته شيء من خانا الناصرية والحصوة فقال :"في الرابع و العشرين من شباط لسنة 1888م شددنا الرحال متجهين في سفرنا شمالا ومررنا بخان الناصرية ثم سرعان ما عبرنا قناة وسيعة ،وما أن تجاوزنا تلول طوبية اتجهنا نحو خان الحصوة فوصلناه عند الظهر، إن الأراضي المحيطة به مليئة بالأنقاض والحجارة الصغيرة ،والخان هذا قذر عادة ولا يلفت النظر أبدا ،لذا سرعان ما واصلنا سفرنا دراكا"[5].

ب _خان الاسكندرية : لقد ذكر الرحالة بيترو ديللافاليه(pitro Della Valle) في رحلته من الحلة إلى بغداد خان الاسكندرية فقال: "غادرت الحلة ضحى 25 من تشرين الثاني ،وأمضينا الليل في خان البئر ...وأمضينا الليلة الثانية في خان يقع قرب قلعة غير مأهولة يدعى خان النص ،لأنه يقع في منتصف الطريق بين الحلة وبغداد "[6].

1_ اليسر وليس بدج ، رحلات الى العراق ،تر: فؤاد جميل ،دار الزمان ، بغداد ، 1966م ، ص 69.

2_ محمود شكري الالوسي ، أخبار بغداد و ما جاورها من البلاد ، المرجع السابق ، ص 116.

4_ الناصرية :منطقة موجودة بين المحاويل والحصوة.

4_ الحصوة : وهي الارض التي يكثر بها الحصى وهي حجر رملي .

6_ السير واليس بدج ، المصدر نفسه ، ص 209.

6_ بترو ديللافاليه ، رحلة ديللافاليه الى العراق مطلع القرن السابع عشر ،تر: بطرس حداد ، شركة الديوان ، بغداد ، 2001 م، ص 62.

أما الرحالة جمس بكنغهام (J.S.Buckinghame)فكان معجبا بخان الاسكندرية من حيث البناء و الطراز المعماري واختلافه عن باقي الخانات العراق الأخرى ،وخصوصا طريق بغداد _ الموصل ،فضلا عن الخدمات التي يقدمها من أكل وشرب ،وفضلا عن مرافق الخان الأخرى مثل المطبخ والإسطبلات ومكان الصلاة وحانوت وغيرها[1].

ج_ خان المحمودية :وصفت السائحة مدام ديولافوا (Madame De La VoiX)في معرض رحلتها من بغداد إلى بابل خان المحمودية فقالت :...ظهرت على الأفق بناية كبيرة من الآجر وهي خان كبير شيده الايرانيون بجهودهم وفلوسهم ،فيه بضع حجر واسعة معدة لاستراحة زوار العتبات المقدسة من الشيعة ،وهذا الخان يناظره خانات إيران التي شاهدتها لدرجة كبيرة إذ تحيط بصحنها الحجر من جميع الجوانب التي يتقدم كل منها إيوان واسع ،والمسافرون عادة عندما يكون الجو لطيفا ينزلون في هذا الإيوان وعند برودة الطقس يأوون إلى الحجر ويجعلون دوابهم وحيواناتهم الأخرى في الإسطبل المقابل لهم لكي تكون على مرأى منهم على الدوام مخافة سرقتها[2] .

د_ خان آزاد : أصاب هذا الخان الدمار وصار مكمنا لقطاع الطرق من الأعراب وكان في السابق تنزله الرواحل والقوافل ،فأمر الوزير عمر باشا في سنة 1681م بتعميره وتحصينه وتعيين خدام ومحافظين له لغرض راحة أبناء السبيل ،ولم يتبق منه من هذه الأيام إلا بعض رسومه ،ويقع على يمين الذاهب غلى المحمودية قبل عبور قنطرة اليوسفية ،والآن تكونت بالقرب منه قريبة جديدة من جانبي النهر فيها بعض الأبنية وتتصل بها بساتين [3].

وتحدث كلوديوس ريج(Claudius S.J.Riche)[4] عن خان آزاد عندما رغب في زيارة أطلال مدينة بابل الأثرية الأثرية في أوائل شهر كانون الأول سنة 1811م حيث قال :هذه الخان ذات بناء مربع الشكل ...يحتوي على غرفة أو غرفتان قرب البوابة ،وفي وسط الفناء توجد وطيدة مرتفعة ينام عليها المسافرون صيفا،...وهناك سلسلة من

1_ جيمس بكنغهام ، رحلتي الى العراق سنة 1816م ، تر: سليم طه التكريتي ،ج1، بغداد ، مطبعة اسعد ، 1968م ، ص ص 238 _239.

2_مدام ديولافوا ، رحلة مدام ديولافوا الى كلدة_ العراق سنة 1881م ،تر: علي البصري ، منشورات دار البصري ، بغداد ، 1958م، ص 128.

3_عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج7 ، ، ص 118.

4_كلوديوس ريج: هو قنصل بريطاني في بغداد لمدة 1808م الى 1821م حيث كان يتدخل في ادارة ولاية بغداد مما ادى الى ظهور خلافات بينه وبين الوالي داوود باشا . انظر الى :كلوديوس جيمس ريج ، رحلة ريج في العراق عام 1820م ، تر: بهاء الدين النوري ، ج1، بغداد ، مطبعة السكة الحديدية ، 1951م ، ص 20

الإسطبلات حول ساحة الخان الرباعية ،وفي أعلى البوابة توجد غرفتان مفتوحة ،كما توجد على الدوام قرية صغيرة تترامى بالقرب من كل خان بيوتها طينية "[1].

5_ أشهر الحمامات في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

لقد اكتسب الحمام بعدا اجتماعيا من خلال تطوره الى مؤسسة اجتماعية تؤدي وظيفة صحية ،و دينية .فلا تخلو محلة من المحلات من وجود حمام او أكثر في بعض الأحيان لأن هناك ترابط وثيق بين الحمام والمسجد .احتوت بغداد على عدد من الحمامات العامة و الخاصة التي كان عددها 38 حماما ، وهي عبارة عن دهاليز تؤدي إلى ساحة كبيرة يتوسطها حوض على جوانبها دكات يجلس عليها الرواد لينزعوا ملابسهم ،ثم يدخلوا إلى ساحة أخرى ،ومنها إلى ساحة كبيرة حيث يوجد حوض كبير و عميق ، وللحمامات كرخان[2] يستعمل لغرض[3]، وقد اهتم الناس كثيرا بالحمامات لأن الاسلام اوصى بالطهارة قسما من عنايته [4]، كما أن نشأة الحمامات العامة جاء نتيجة لعدم توفر الماء في المساكن بصورة كافية إضافة إلى استعمالها بمثابة إجراء طبي للعلاج .تسخين الماء في الشتاء ،ولكل حمام بئر ،وعليه كرد يجره بغل لجلب الماء من البئر ،وسكبه في مخزن الحمام الكبير .وتبنى الحمامات بالآجر و القار وتكسي أرضها بالنورة المجلولة بالرمال ، وتميزت الحمامات بظلامها على الرغم من وجود فتحات مغطاة بالزجاج تعرف ب عرقجين سماية[5] فضلا عن قناديل الشيرج (زيت السمسم) لأجل إنارة الحمام توضع في المحل الذي يزداد ظلاما بكثافة بخار الماء ،ومن أشهر الحمامات هناك :

أ _حمام الشورجة : من حمامات بغداد قديمة العهد كان موجودا في القرن الحادي عشر الهجري وأشير اليه في وقفية مُحَمَّد عثمان الحرباوي ،وهو يعود لآل الوتري . وفي سنة 1257هـ هدم وشيد على أطلاله دكاكين لبيع الفواكه و الخضر .يقع في جانب الرصافة من بغداد في شورجة كان يوجد بها بئر مالحة ،أنشئ عندها حمام يأخذ مياهه منها ، وفي زمن العثمانيين كان الحمام المشهور في المنطقة الشرقية الحمام المالح الذي كان يمنح من البئر ،ولذلك سمي الحمام

1 _كونستانس الكسندر ، بغداد في الأيام الخوالي ، ترجمة المجمع الثقافي في أبوظبي ، أبوظبي ، 2001م ، ص ص 146 _147 .

2_ الكرخان : كلمة فارسية معناها محل الجمر والرماد يستخدم فيها فضلات كوقود لها وبعد تجمع الرماد الاسود المتراكم ، عزيز جاسم الحجية ، بغداديات ،ج1 ، بغداد ، 1966 م، ص 97 .

3_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 71.

4_ ابراهيم عبد الغني الدروبي ، المرجع السابق ، ص 398.

5_ عرقجين سماية : عرفت بهذا الاسم عقادة سقف الحمام على شكل نصف دائرة مغطاة بالزجاج تشبه العرقجين ..

الجديد شوره جه ومعناها بالتركية الأقل ملوحة ،واصبح اسمه حمام الشورجة ،وسميت المنطقة باسمه ،وربما ينسب الى السيرجة أو الشرجة التي حرفت الى الشورجة[1] .

ب_ حمام رأس الكنيسة : يقع هذا الحمام بجانب الرصافة في بغداد في محلة البارودية ، ورأس الكنيسة محلة قريبة من الميدان ، ويقال أن هذه الكنيسة أقدم كنيسة في بغداد ،وقد بنيت للأرمن بموافقة السلطان العثماني مراد الرابع حين دخل بغداد سنة 1638م[2].

ج _حمام مرتضى علي : أحد أقدم حمامات بغداد العامة في الجانب الغربي من بغداد بمدينة الكاظمية ويقع مباشرة قبالة باب قريش التي تؤدي الى محلة الأنبارين ، شيد هذا الحمام في القرن الثامن عشر ميلادي .حيث أن بناءه جاء متزامنا مع بناء جدار الصحن الكاظمي ، وأن أغلب رواد هذا الحمام من أبناء المنطقة و العاملين في مرقد الإمام الكاظم من سدنة وغيرهم ، وقد ازيل مع توسيع الحرم الكاظمي في نهاية السبعينات من القرن العشرين [3].

د_ حمام الشفاء :يقع في الجانب الشرقي من بغداد في المنطقة الواقعة بين سوق الهرج وشارع حسان بن ثابت في محلة جديد حسن باشا ،و ربما يكون هو الحمام الذي كان معروفا سابقا باسم حمام الحاج رسول أفندي ، وكان من أصغر حمامات بغداد[4] .

هـ_ حمام الحاج إبراهيم بن مُحَمَّد :هما حمامان واحد للرجال وآخر للنساء وهما من حمامات بغداد العامة القديمة ، ويقعان في الجانب الغربي من بغداد قريبين من مقام جعفر الصادق والساقية المتصلة من دجلة الى الحمامين ،والحاج ابراهيم بن مُحَمَّد وقف الحمام المشتمل على مسبحي الرجال والنساء الواقع في الجانب الغربي من بغداد دار السلام مع البئر الواقعة على نهر دجلة غربي مقام جعفر الصادق مع الساقية المتصلة بالحمامين وجميع المنزل الواقع المقابل الحمامين والدكاكين الثلاثة الواقعات في طرف الحمام.[5]

1_ عباس البغدادي ، بغداد في العشرينات ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 1998 م ، ص 341.

2_" مجلة التراث الشعبي" ، دار الشؤون الثقافية العامة ، مج: 40 ، العدد 3_ 4 ، بغداد ، 2009 م، ص 121 .

3_ رؤوف صفار ، "من ذاكرتي حمامات "، الكاظمية ، مجلة الهدى ، بغداد ، 29 تموز 2015 .

4_ جلال الدين الحنفي ، الصناعات والحرف اليدوية البغدادية ، السلسلة الثقافية 11، بغداد ، 1966م ، ص .132

5_ رؤوف صفار ، المرجع نفسه .

6_ أشهر الطرق والأزقة في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

تمتاز بغداد بشوارعها الضيقة الملتوية ، و أزقتها المفتوحة وسط المنازل العالية الملاصقة تلاصقا شديدا ، والمتداخلة بشكل استدعى كثرة الوجود الأزقة الضيقة و العقود المحدودة فوق الطرق[1] التي لا يتجاوز عرض بعضها المترين أو ثلاثة أمتار و نصف فهي لا تسمح بالمرور جملين أو شخصين على ظهور الخيل [2].ويرجع سبب هذا إلى عدة عوامل :

أ. أمنية: إذ أن التوائها وضيقها يوفر الصفة الدفاعية للمدينة مما يساعد على صد الغارات وحصر الأعداء في أوقات الأزمات و الأزقة المغلقة تسهل الأعداء و السيطرة عليهم في حالة تعرضها إلى هجمات خارجية أو تمرد داخلي .

ب. مناخية :فهي توفر الظل عند المرور خلالها فضلا عن ذلك لم يكن هناك حاجة لتوسيع الطرق و الأزقة طالما أن الأسواق تتحلل المحلات السكنية فلم تكن هناك حاجة إلى استخدام وسائل النقل إلا في حالة نقل الأحمال الثقيلة ، و أن وسائط النقل المستخدمة في تلك الحقبة هي الحيوانات من الجمال و الخيول فيما بعد ، لذا فقد تأثر نظام تخطيط الطرق بهذه الأبعاد من حيث تحديد عرض الطرق وحتى تحديد ارتفاع الشبابيك لأن ارتفاع حمولة حيوانات النقل تصل إلى 3,5 متر كحد أعلى فنسقت الطرق على هذا الأساس .

وقد وصف الكثير من الرحالة طرق بغداد بأنها غير جيدة وضيقة وملتوية ومنهم فريزر(Fraser) عندما قال : "تكون في الغالب عبارة عن أزقة ضيقة غير مبلطة و موحلة في الشتاء دون شك " [3].وكانت طرق بغداد ترابية غير مبلطة ما عدا طريق البلاجية الذي بلط في أواخر القرن الثامن عشر ، و أصبح يعرف بعقد الصخر نسبة إلى رصفه به [4]. و الطريق الآخر الذي بلط في القرن التاسع عشر هو طريق القشلة المحاذي لسراي الحكومة ، وقسم من سوق السورجية ، أما باقي الطرق فهي ترابية مما يؤدي إلى عرقلة حركة انتقال الناس ، والبضائع خاصة في فصل الشتاء حيث يتساقط المطر فيحيل تلك الطرق إلى طبقات من الوحل ، وتتجمع المياه وسطها مما يضطر الناس إلى الخوض فيه ، وإن اشتد و تعاظم الوحل هناك حمالون يحملون الناس على ظهورهم جانب لآخر لقاء مبالغ زهيدة [5]. كانت الطرق ، و المسالك المهمة التي تخرق النسيج المعماري للأحياء التقليدية من نهر دجلة نحو

1_ محمد رؤوف سعودي ،" مذكرات بغدادي "، مجلة المورد ، مج 8 ، العدد 4 ، 1979م ، ص 557 .

2_ أدموند كاندلر ، "بغداد سنة 1917م" ، تر: محمد مظفر الأدهمي ، مجلة المورد ، مج 8 ، العدد 4 ، 1979 م ، ص 130 .

3_ جيمس بيلي فريزر ، المصدر السابق ، ص75.

4_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 14 .

5_ محمد رؤوف الشيخلي ، المرجع السابق ، ص 85 .

أبواب سور المدينة تتفرع في الغالب من الأسواق الرئيسية فتوسعت تلك الطرق التي عدت المحاور الرئيسية لطرق القوافل و النقل ، و من تلك الطرق التي تخترق مركز بغداد من نهر دجلة حتى باب الطلسم و من الميدان حتى الباب الوسطاني ، و الطرق التي تنطلق من جهة نهر دجلة باتجاه السورين . و من أطول الطرق في جانب الرصافة التي تميزت بقلة تعرجها ، و استقامتها تقريبا هو الطريق الذي يبدأ من باب المعظم وينتهي إلى الباب الشرقي موازيا لنهر و ليس لهذا الشارع اسم خاص به بل لكل مسافة منه اسم تسمى به فشارع الميدان ، و يصل به شارع السراي ، و يصل به شارع جامع الوزير ، و يليه شارع سوق الهرج فشارع المنجية ، فشارع المصبغة فشارع القرية فشارع السيد سلطان علي المتصل بشارع الباب الشرقي[1] .

وظلت طرق بغداد على حالتها السيئة دون العناية بها ، فلم ترصف بالآجر ، أو الحجر أو تنظم شبكة لطرف مياه الأمطار ، أو لتلك التي تتدفق من البيوت أحيانا ، و لم توسع هذه الطرق ، ما عدا افتتاح الجادة سنة 1916م . و يرجع فضل افتتاحها إلى القائد الألماني غولتز باشا فعند تجواله في شوارع بغداد وجدها لا تفي بحاجات نقل المهمات العسكرية ، فتفاوض مع رئيس البلدية ، و أحضروا مهندسين لوضع رسم ، وفعلا شرعوا بفتح الشارع وسموه خليل باشا جاده سي وبالرغم من بعض التوقفات افتتح في يوم 19تشرين الأول 1916م، مخترق المدينة من أولها لآخرها موازيا للنهر. أما طرق جانب الكرخ فجميعا تقطعها عرضا منها الطريق الذي يبدأ من رأس الجسر ينتهي بمسجد معروف كرخي .و الطريق الآخر الذي أوله باب السيف ونهايته العلاوي الحلة ما عدا الطريق الذي يبدأ من رأس الجسر و ينتهي بالباب الكاظم و هذا الطريق يقطعها طوليا . ونتيجة لوعرة هذا الطريق و متاعبه إلى جانب عدد البغداديين الذين يذهبون الى الكاظمية وخطوة نحو التقدم و الازدهار ، وأنشأ مدحت باشا سنة 1870م خط الترام(سكة الحديد) بين المدينتين وعرف بالترامواي[2] (الكاري) الذي تجره الخيول[3] .

ظلت تلك الطرق تعاني حتى السنوات الأخيرة من الحكم العثماني من الإهمال و عدم العناية مما جعل سير وسائط النقل المتطورة كالعربات و السيارات أمرا عسيرا على الرغم من الجهود التي بذلها بعض الولاة في إصلاح بعض الطرق و فتح طرق جديدة .

1_ محمد الهاشمي البغدادي ، المرجع السابق ، ص 378.

2_ انظر الملحق رقم 05 ص 102 .

3_ محمد الهاشمي البغدادي ، المرجع السابق ، ص 278 .

المبحث الثاني

(فئات المجتمع في بغداد خلال العهد العثماني)

* المطلب الأول :فئة العلماء ورجال الدين.

* المطلب الثاني : فئة التجار وأصحاب الحرف.

* المطلب الثالث :الفئة العامة

(الطوائف الدينية :المسلمون النصارى اليهود).

المطلب الاول : فئة العلماء ورجال الدين :

احتلت هذه الفئة قمة الهرم الاجتماعي والديني في المدينة، فاشتهرت بعطائها العلمي و الثقافي و الأدبي وتعاظم دورها كفئة فعالة و مؤثرة ، فكانوا من أبرز الشرائح تأثيرا في الحياة الاجتماعية والثقافية .استمدت نفوذها من الطابع الديني ، الذي كان ثابتا و مستقرا ، واعتمدت في مكانتها إما لانحدارها من سلالة الرسول صل الله عليه وسلم أو لجهودهم ، أو لمعرفتها بالشريعة ، وأصول الدين التي كانت في حينها أحد أكثر المؤهلات تأثيرا في المجتمع [1]، أو مرشدين الطرق الصوفية ،أو شيوخ لتدريس القرآن الكريم ،وكانوا القادة الروحيين للمجتمع البغدادي لما لهم من تأثير على الرأي العام في بغداد ،وأداة الدعاية القوية التي تؤثر في نفوس الناس ،و أشهر الأسر العلمية في بغداد خلال العهد العثماني هم :الكيلاني ،الألوسي ، وآل جميل ، الحيدري ، السنوي [2].

يذكر عبد الرحمان حلمي[3] في أنه قد بلغ عدد الأسر العلمية 28 أسرة ، وكانت هذه الفئة جزءا ملتحما مع الفئة الحاكمة ،فدعمت نظام الحكم ،وعملت على تبرير شرعيته ،خاصة وأن التشريعات القانونية ،والفقهية تصدر عنها ،فتأرجح تأثيرها بحسب درجة قربها وولائها ، أو بعدها عن السلطة أولا، وعلى فلسفة الوالي ونظرته إلى الحياة ثانيا ،وقد أتاحت لهم التنظيمات الجديدة المساهمة في الإدارة عن طريق مجلس الإدارة و الولاية فكان نائب قاضي الشرع من ضمن الأعضاء الدائمين ،والمفتي من ضمن الأعضاء الاختياريين ،وقد اتخذت هذه الفئة الدعاوى الدينية وسيلة لمكاسب اجتماعية لم تكن تنالها دون مبررات فكرية وسياسية [4]،وعند دراستنا للسيرة الذاتية لعلماء الدين البارزين في تلك المرحلة نستدل على أن معظم الأسر البغدادية التي اشتهرت بالعلم ،وشغلت أرفع المناصب الدينية كانوا من خارج بغداد ذاتها ،فالأسرة الآلوسية من بلدة آلوس[5]، وأسرة الطبقجلي من حديثة ،وأسرة السويدي من

1_ حنا بطاطو ، العراق: الطبقات الاجتماعية و الحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،تر: عفيف الرزاز، الكتاب الأول ،ط1،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت لبنان ،1990م ، ص ص 27_28.

2_ عبد الرحمان حلمي العباس السهروردي ، تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر هجري ،تح: عماد عبد السلام رؤوف ، بغداد ،1996م ، ص34.

3_عبد الرحمان حلمي السهروري مؤرخ ينتمي ال ال سهروري عباسي النسب ولد في 1798م وتوفي سنة 1870م ومن مؤلفاته تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر هجري حققه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف .

4_عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص 323.

5_ مُحَّد بهجت الأثري ، أعلام العر اق ، مطبعة السلفية ، القاهرة ، 1345 م ، ص ص 7 _ 8 .

بلدة الدورة [1]،والأسرة الحيدرية من المدينة المنورة [2]،والبندينجي من البنديج ،و الفكيكي من المغرب ،وأسرة الزهاوي من السليمانية ،و الرزبهاني من كركوك ،وآل الوتري من المدينة المنورة ،وآل جميل وآل الواعظ وبيت الرحبي من بلاد الشام [3]،والقزويني من النجف .وأسر أخرى ترجع في أصولها إلى قبائل عربية مثل بيت النائب ،وآل السنوي ،وآل السنوي ،وآل الشواف ,وآل العمري ،و الغواص[4]. فكانوا مثالا لأبناء القرى ،والمدن التي جاؤوا منها، فالكثير منهم جاء إلى بغداد يحدوه الأمل الطموح ليصل إلى ما وصل إليه أبناء جلدته من المراكز والمواقع المهمة ، فكان العلماء فئة مكونة من كل قطاعات المجتمع الريفي و الحضري من المستويات الاقتصادية كافة وجدوا في العلم مجالا للارتقاء الاجتماعي[5] .

استطاع عدد منهم أن يشغل أرفع المناصب الدينية ،كالإفتاء ، ونيابة المحكمة الشرعية وكان منهم الوعاظ ،والأئمة ،والخطباء في الجوامع الكبرى ، ومنهم المدرسون في المدارس الدينية التي حفلت بها بغداد آنذاك ،ويعد الإفتاء أرفع المناصب الدينية بعد القضاء ،وكان بمنزلة المصباح الذي يستضاء به ،ويتم عن طريق انتخاب شخص من قبل المدرسين الذين يختارون من يرونه صالحا لهذا المنصب ،بعد ذلك يرفع إلى والي بغداد ،فيرسله إلى المشيخة الإسلامية ،فتصدر الإرادة السنية بإسناد منصب الإفتاء إلى المرشح ،وترسلها إلى ولاية بغداد ،فتقام حفلة رسمية بحضور والي بغداد ،وجميع العلماء ،والأشراف ،ويقرا ديوان الولاية الإرادة السنية على الحاضرين ،وتخلع على المفتي خلعة الإفتاء وهي خراجة (جبة)مقصبة مع رتبة رئاسة العلماء مذهبة[6] ،فكانت أزياؤه تختلف عن غيرهم من العلماء العلماء وهي الجبب المطرزة ،والطرح المعتبرة والدلق المتسعة من الفرجيات طويلة الأكمام و الطيالسة ، يتقاضون رواتبهم مع نوابهم في إدارة الأوقاف ،أما بالنسبة للمدرسين و الأئمة و الخطباء الذين تم تعيينهم من قبل إدارة الأوقاف في بغداد بعد إجراء الامتحان للمتقدمين لشغلها و الوظائف الأخرى كوظيفة المؤذن ،و الكيم و خادم المسجد ،فيكون تحقيقها باقتدار البنية أي اللياقة البدنية و الصحية للمتقدم ،وكانوا يتقاضون رواتبهم الشهرية من

1_ علي علاء الدين الألوسي ، الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر ، تح :جمال الدين الألوسي و عبد الله الجبوري ،بغداد ، 1967م ،ص 170.

2_ ابراهيم فصيح الحيدري ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد و بصرة و نجد ، مطبعة دار المنشوارت البصرى ، بغداد ،1962م، ص12

3_ ابراهيم الدروبي ، المرجع السابق ، ص 32.

4_ المرجع نفسه ، ص ص 39 _ 50.

5_علي علاء الدين الآلوسي ، المرجع نفسه ،ص9 .

6_ ابراهيم الدروبي ، المرجع نفسه ، ص 367.

إدارة الأوقاف في بغداد ، ويستثني النظام من هذه الشروط ما يخالفهما من شروط الواقفين التي تعتبر بعضها مجزيا الى حد كبير ،فالوظائف الكائنة في مؤسسات ذات أوقاف كثيرة غنية تعد مجالا لتنافس العلماء ، لأن بعض الواقفين كانوا يشترطون في وقفهم احسن علماء أهل بغداد ، وهو شرط من شأنه أن يفتح المجال أمام العلماء المدينة للتنافس على شغل أهم المناصب التعليمية في مدارسهم ،إثباتا لأهليتهم ،وقابليتهم العلمية ،والدينية ،فالمدرسة المرجانية تشترط فيمن يتولى أوقافها أن يكون مفتي الحنفية ،إذ كانت أوقاف هذه المدرسة تعد أمرا هاما لمفتي المدينة ، وكثيرا ما كانت تتسبب في حدوث النزاعات بين العلماء لتولي أوقافها[1] ، ويعكس لنا التنافس بين الأسرة الكيلانية و الألوسية أهمية أوقاف المدرسة المرجانية ،فكثيرا ما كان آل الكيلاني يدسون على أبي الثناء الألوسي عند الولاة وفعلا نجحوا في عهد نجيب باشا عندما امر بعزله سنة 1848م،فكثيرا ما أدت هذه المنافسات إلى العداء بين العلماء[2] .

ولم تقتصر مصادر ثروات كبار العلماء على الرواتب و الأوقاف ،بل كانت لأغلب الأسر العلمية الدينية الكبيرة في بغداد ملكيات عقارية ،أو زراعية التي تعرف بالمستغلات والتي منحت لهم من قبل السلاطين العثمانيين فجعلوا ملكياتها أوقاف مؤيدة على ذرياتهم ، ورغم أن قسما من الأوقاف خصصت لعمارة المساجد و أعمال البر ،لكن نسبة كبيرة منها كانت تذهب للأسرة الموقوفة إليهم ، ومن أشهر هذه الأسر هي :أسرة الكيلاني إذ كانت أملاكهم الموقوفة داخل بغداد وحولها [3]،وأسرة الألوسي التي تمتلك الكثير من الأراضي الزراعية والتي تمتد من حديثة إلى هيت على جانبي نهر الفرات ،والأسرة الحيدرية التي لها قرى كثيرة ،وأسرة البندينجي التي تمتلك أراضي واسعة في بندينجين [4]. وتمتعت الأسرة العلمية بحصانة من اي إجراء يراد به المساس بملكياتهم ،وأعفيت من جميع التكاليف الضريبية ،وإعفاء جميع أبنائهم من الخدمة العسكرية [5]. أقام العثمانيون نظم دولتهم السياسية على أساس ديني فقد فقد صبغ السلاطين دولتهم بصبغة دينية ، واصبح رعاياهم ينظرون إليهم كأنهم حماة الإسلام .وبما أن العلماء الدين هم قادة الروحيون للجميع فيمكن من خلالهم تحريك المجتمع وتنبيه الأذهان للوضع السيء الذي يعيشونه ،وخاصة أن الدين في تلك المرحلة له تأثير مهم في الحياة الاجتماعية ،وكثيرا ما يفرض نفسه في أي مسألة بواسطة أبسط

1_ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص 149.

2_علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج2 ، مطبعة الارشاد ،بغداد ، 1971م ، ص 176.

3_ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع نفسه ، ص 151.

4_ ابراهيم الدروبي ، المرجع السابق ، ص 46.

5_ عماد عبد السلام رؤوف ، المرجع نفسه ، ص 153.

الملاحظات [1] ،وكثير من المواقف تعكس لما للعلماء من تأثير على المجتمع ، فعندما حدث خلاف بين القاضي ،و القنصل الفرنسي سنة 1868م ،وانتشر الخبر بين الناس ،اعتبروها إهانة للمسلمين[2]، فقام الوالي باستدعاء علماء و أعيان بغداد لتهدئة الحالة خوفا من حدوث ما لا يحمد عقباه [3]، مما يعكس لنا نظرة الناس لعلماء الدين واحترامهم لهم ،ولما لهم من تأثير على المجتمع ، و لذلك نرى الكثير منهم قوى علاقته بعلماء الدين باعتبارهم القلم الذي يسجل مناقب الولاة ويخلد ذكراهم ، ولما لهم من تأثير على الرأي العام في بغداد ،باعتبارهم قادة الرأي العام و أداة الدعاية القوية التي تؤثر في نفوس الناس [4].

كان هم الوحيد لعلماء الدين هو إرضاء السلاطين ،والولاة فلهجوا لهم بالدعاء و الثناء و الذكر لما لهم من أعمال خيرية ، وحاولوا استغلال كل الوسائل التي يمكن أن تقربهم من الحكومة العثمانية مثل الخروج في استقبال أو توديع الولاة التي كانت من أهم الوظائف الاجتماعية التي تزيد من حظوتهم لدى الولاة من جهة ، وترفع من مكانتهم في نظر العامة من جهة أخرى [5]. وكثيرا ما وقف العلماء إلى جانب الولاة فعندما كان الوالي أحمد باشا يطمح إلى منصب الولاية استطاع عن طريق تنظيم مضبطة وقع عليها علماء بغداد جميعهم ،و أرسلت إلى الحكومة المركزية ، فجاء الأمر بتعيين أحمد باشا واليا على بغداد [6]، وغيرها من المواقف مما يدلنا على ضعف هذه الفئة التي لم لم يكن بمقدورها أن تتحول الى حلقة وصل فاعلة بين فكرها والمجتمع الذي كان الضحية الأولى لكل مثالب النظام ،وظواهر التخلف ، إضافة إلى طبيعة النظام السياسي القائم ومؤسساته القمعية التي حطت من قدرة العلماء على إبداء آرائهم فيقول في ذلك رشيد صفار :" بأن ضغوط الحكومة على حرية العلماء في إبداء آرائهم كان المنشأ الحقيقي لسقوطها ، و تأخرنا ، ولا تنال الأمة ضالتها المنشودة .إلا إذا رأت الفلسفي يدرس ما عنده من العلوم ، والفنون بأزاء من يدرس العلوم الدينية من غير تكبر .وهو موقوف على من يطلق للأمة حرية القول في جميع الأحوال "

1 _ محمود شبيب ، مشاهدات أسير انكليزي في بغداد ، مجلة الأفاق العربية ، العدد 6، شباط ، 1986م ، ص 37.

2 _ بير دي فوصيل ، الحياة في العراق منذ القرن 1714م_1914م ،تر: أكرم فاضل ،بغداد ، 1968م ، ص ص 111،112.

3 _ عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج 7 ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، الكرخ ، 1375هـ _ 1955م ، ص 156.

4 _علي الوردي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين العثماني الأول ، ج3 ، جامعة بغداد ،1971م ،ص 47.

5_ علي الوردي ،المرجع السابق، ج2 ، ص 230 .

6 _ عباس العزاوي ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص ص 132_ 133.

فتحرك العلماء بقي محصورا في إطار فردي إلا ما ندر واقتصرت آرائهم الإصلاحية على أوراق مؤلفاتهم ،وخاصتهم ،وندواتهم التي لم تتحول إلى مجال التطبيق العلمي حتى يدركها المجتمع ،واقتصرت في بعض الأحيان على طلابهم وهم لا يمثلون إلا جزءا يسيرا من المجتمع ، ومع كل هذا كانت هذه الفئة نواة الفئة المثقفة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي [1].

المطلب الثاني: فئة التجار و أصحاب الحرف:

مثلت فئة التجار و أصحاب الحرف قمة الهرم الاقتصادي في مدينة بغداد، إذ تألفت من عناصر مختلفة من الناحية الدينية و العرقية أو غيرها من الاختلافات التي تحملها الأشكال الاجتماعية، فالاختلاف داخل الفئة جعل كل أسرة تتميز بمميزات تختلف الواحدة منها عن الأخرى ، ولكن هناك مجموعة صفات مشتركة تجمعها معا فالأساس التي تعتمد عليه هذه الفئة هو الثروة ، والتحكم في اقتصاد البلاد .وتعد الحياة الاقتصادية في أي مجتمع إنساني من أكثر المظاهر تأثيرا في الوضع السياسي السائد في ذلك المجتمع ، كما أنها تعتبر أشد الجوانب تأثيرا بما يحدث في تلك الدائرة الاجتماعية من تغيرات سياسية ،وانعكاسات ناتجة من تطور طبيعة المنهج المتبع في نظام الحكم ،وفضلا عن ذلك فهناك نوع من الارتباط الطردي بين الاستقرار السياسي و الازدهار الاقتصادي في جميع المجتمعات الإنسانية بدون استثناء . وقد شهدت صفحات التاريخ كثيرا من صور ذلك الارتباط الوثيق بين الحالة السياسية و الوضع الاقتصادي ،وأن اختلفت أسباب كل ظاهرة عن الأخرى اختلافا بينا[2].

كان للكوارث التي تعرضت لها بغداد، التنظيمات العثمانية و التسهيلات، والانفتاح النسبي تأثيره على فئة التجار و أصحاب الحرف، فشهدت بداية الحقبة ضعف التجار بصورة عامة بسبب ما تعرضت له بغداد من كوارث ،مما أدى إلى تناقص عدد السكان مما يعني قلة الطلب و ضعف السوق المحلية و وفاة العديد من التجار وأصحاب الحرف . و يعلق الرحالة جيمس بيلي فريزر(Fraser) على ذلك " إن معظم التجار ،وجميع الصناع وأرباب الحرف تقريبا ،قد أتى عليهم الموت "[3]. وعندما بدأت الأحوال تتحسن تدريجيا تعرضت هذه الفئة إلى الابتزاز ،والظلم من قبل الولاة ،وموظفيهم . فتعيين علي رضا باشا عبد القادر الموصلي الملقب بالجمركي مديرا

1_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص138 .

2_ المرجع نفسه ،ص 144.

3_ جيمس بيلي فريزر ، المصدر السابق ، ص 112 .

لدائرة الجمرك يعني جلب المأساة لمعظم التجار المحليين ،لأن عبد القادر أصلا تاجر عرف كيف يستغل وظيفته لصالحه ،إذ أخذ يراسل التجار في الشام وحلب ، وعين الوكلاء و العمال فيها لقضاء مصالحه في تصدير الأموال واستيرادها ، فاحتكر بذلك معظم الأعمال التجارية ، وشارك الكثير من التجار في الداخل و الخارج مستأثرا لنفسه نسبة الأرباح ،فتدهورت أحوال الكثير من التجار وتوقفت أعمالهم و ارتفعت أسعار البضائع المستوردة في الأسواق ،لأنه كان يتلاعب بتجارتها بفرض القيود عليها كما يشاء[1].

ففي عهد الوالي نجيب باشا اتخذت إجراءات عديدة لغرض السيطرة على التجار ، والاحتكار المطلق للسوق بالاتفاق مع بعض التجار ،ففي سنة 1848م احتكر تجارة الحنطة وسمح للتجار اليهود بشرائها حيث كانت تربطه صلة مع ابن الوالي نجيب باشا ،مما أدى الى ارتفاع الأسعار و إبعاد عدد من التجار في السوق ،إضافة الى فرضه رسوم العبور التي تصل الى 30%من القيمة بالنسبة للجلود و الصوف و غيرها التي تفرض قبل وصول البضائع أسوار بغداد وكانت هناك ضريبة أخرى تفرض عليها عند دخولها المدينة قدرها 12%، مما أعاق هذه الفئة عن توظيف أموالها . وفي عهد الوالي رشيد باشا الكوز لكي خضع التجار إلى المراقبة و فحص الدفاتر من قبل الوالي نفسه لاستيفاء نسب معينة من أرباحهم السنوية ،وكثيرا ما كان يجبر التجار على التزام الأنهر و المقاطعات في الحكومة بأضعاف ما كانت تستحقه ،والفرق من هذه العمليات يذهب إلى الوالي ،وكما فعل الولاة السابقون احتكر بيع الغلال بالاتفاق مع بعض التجار من اليهود و المقربين له ، فشهدت أسعار الغلال ومعظم أنواع السلع ارتفاعا في أسعارها في الكثير من أيام السنة[2] ، مما سبب إفلاس عدد من التجار .ويعلق سليمان فائق على التجار بقوله " كان هناك جماعة من التجار وأصحاب الثراء النسبي غير أن هؤلاء أصبحوا وهم لا يملكون الفلس الأحمر "[3].

كانت العلاقة بين فئة التجار و أصحاب الحرف و حكومة الولاية كانت علاقة سطحية لا تهدف إلا لتحقيق المصالح الشخصية، وهذا يرجع إلى أن السلطة الحاكمة مرتبطة مباشرة بالحكومة المركزية وتتلقى الاوامر و التعليمات منها فلا يمكن لها اتخاذ أي قرار إلا بموافقة الحكومة المركزية ،وكان الولاة الموظفين في تغير مستمر فمن وجد اليوم لا تجده غدا فمثلا في عهد الوالي رشيد باشا الكوز لكي أقامت عائلة دانيل معه علاقة بهدف مصالحها ،وبعد وفاة

1_جعفر الخياط ، صورة من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، ج1 ،ط1 ،مطبعة دار العربية ،بغداد ،1971م ، ص340.

2_ المرجع نفسه ، ص 329.

3_سليمان فائق ، تاريخ بغداد ،تر: موسى كاظم نورس ، بغداد ، 1962م ، ص 176 .

هذا الوالي انتهى دور هذه العائلة [1]كما أن خوف التجار من استغلال الولاة الأتراك لهم ومراقبة نشاطاتهم التجارية ، من الممكن أن يعرضهم لمصادرة أموالهم لذلك فضل التجار الابتعاد عن الحكومة لأن هذا يوفر الأمن والسلامة لهم ومع ذلك نجد بعض العلاقات المحدودة ففي عهد الوالي علي رضا باشا كان للتاجر سليمان الغنام دور هام في حل المشكلات و المنازعات العشائرية ونال ثقة الوالي ، إلا أنه قتل من قبل الوالي نجيب باشا [2]، والتاجر عبد القادر الخضيري الذي ترأس نادي الاتحاد و الترقي ،وكان على علاقة وطيدة مع الوالي ناظم باشا وساعد في حل العديد من المشاكل العشائرية [3].

وعندما أرادت الحكومة العثمانية احتكار النقل لشركة لنج في نهر دجلة ،رفع التجار و على رأسهم التاجران محمود الشاه بندر ،وعبد القادر الخضيري احتجاجاتهم الى اسطنبول لرفض هذا المشروع لأنه يؤدي إلى ارتفاع أجور الشحن [4]،و التاجر عبد اللطيف جلبي آل ثنيان الذي أصدر صحيفة الرقيب مما كان له أثر فعال في نشر أفكار التحرر و العلوم و المعارف ، والتاجر عبد الرحمان الجلبي الباجه جي الذي انتخب في المجلس النيابي في العهد العثماني[5] ، و البعض منهم تولى وظائف إدارية ،فعين محمود جلبي آل القشطيني رئيسا لبلدية الكرخ ولعب دورا هاما في سبيل الإصلاح العام لخطط الكرخ ،وطرقها و منشآتها ، و التاجر عبدال خنين الذي انتخب عضوا في مجلس البلدية الثانية سنة 1887م[6] .

وكان للتجار اسهام فعال في الحياة الاجتماعية و الحياة الاقتصادية اضافة الى اسهامات ثقافية ، وقد كان تدخل هذه الفئة منوطا بدفع المور إلى الوجهة التي يمكن ان تستفيد منها في حياتها الاقتصادية ،ولم يكن دور هذه الفئة متعلقا بهذا فقط بل إن لهم دورا ثقافيا ،فقد أظهر بعضهم الاهتمام بشتى العلوم و الثقافة ،وكانت لهم مجالس في بيوتهم أو في الجوامع مثل :مجلس آل عطا في الحضرة الكيلانية ،ومجلس سميكة في جامع المرجان ،ومجلس حسين جلبي ابن طه جلبي في جامع مرجان لمناقشة المسائل الدينية و الشرعية ،ومارس بعض أبنائهم التدريس في الجوامع

1 ــ جعفر الخياط ، المرجع السابق ، ص 330 .

2 ــ ابراهيم الدروبي ، المرجع السابق ، ص 63

3 ــ المرجع نفسه ، ص 86 .

4 ــ رفعت الحاج عبد الرزاق محمد ، "ثورة بغداد على شركة (بيت لنج)" ،مجلة الحضارة ، العدد2، 1988م ،ص ص 64_65 .

5 ــ ابراهيم الدروبي ، المرجع نفسه ، ص 100 ،

6 ــ المرجع نفسه ، ص 65.

مثل حفيد طه جلبي الذي درس وكالة في جامع المرجان ،وكان يحضر مجلسه أعيان بغداد وطلاب العلم ،وجماعة من التجار [1] ،وأبو يعقوب السيد يوسف العطا مدرس و خطيب الحضرة الكيلانية ،وله مؤلفات عديدة منها كتاب في شرح الحديث الأربعين ورسالة في تفسير بعض سور القرآن [2]، و التاجر الحاج عبد اللطيف جلبي آل ثنيان الذي كان أديبا و لغويا فقيها و مؤرخا ،اضافة إلى تجارته الواسعة كان له مؤلفات عديدة ،وقام كثير من التجار ببناء و تعمير المساجد ،ووقف الأملاك لها مثل بيت آل الخنيثي الذي بنى مسجدا في محل سكناهم ،وآل الخضيري قاموا بتعمير المسجد و إضافة المدرسة و السقاية ووقف العقارات للصرف عليها [3].

و كان لهذه الفئة مواقف متميزة من الطبقة العامة ،فكثيرا ما يعطونهم الهبات و العطايا و يصرفون على الفقراء ،فهم ملاذ للمظلومين المحرومين إضافة إلى أعمال الخير في ميادين البر و الإحسان ،وحاول البعض منهم القيام بمشاريع لخدمة مصالحهم ومصالح المجتمع عندما اكتشفوا إيجابيات المساهمات بدأوا يفكرون في تأسيس العديد من الشركات المحلية ، ففي سنة 1875م تم تأسيس شركة مساهمة للنقل التجاري النهري بين بغداد و البصرة ،مقرها بغداد ،ورأسمالها قدره 2000 ليرة مقسمة على 200سهم لكل سهم 20 ليرة ،وحددت فترة عملها بستة سنوات مع إمكانية تمديدها بعد ذلك ،وجرى تسجيل الشركة في محكمة تجار بغداد آنذاك ،غير أنها لم تعمر طويلا إذ لم ير شيء عن نشاطها التجاري . وفي بداية القرن العشرين أسس عدد من تجار بغداد الأثرياء شركة لتسيير العربات بواسطة الخيول بين بغداد و بعض المدن القريبة منها كالحلة و كربلاء و سامراء وتم إنشاء محطات خاصة لها يجري فيها استبدال الخيول .كان التجار يعيشون حياة مرفهة تميزت بيوتهم بالجمال و السعة و الأثاث الجميل ، وفي بعض الأحيان مؤلفة من عدة منازل بأحجام مختلفة مربوط أحدهما بالآخر وتحتوي على الغرف الجميلة التي تتميز بنقوشها ،ويوجد لديهم العديد من الخدم الذي كانت بينهم علاقة احترام ، ويمتلك التجار العديد من العقارات و الأراضي الزراعية الواسعة في أطراف بغداد ، أو المدن التابعة لها ،وكثيرا ما يوقف التجار بعضا من أملاكهم على المساجد أو الأعمال الخيرية أو وقفا لذراريهم ، وتميز تجار بغداد بالصدق ،والأمانة ، و الإخلاص ، و النزاهة ، وأغلب التجار و أعيان المدينة يدخلون أبناءهم المدارس المدينة ثم يرسلونهم إلى الخارج لإكمال دراستهم على حسابهم الخاص [4].

1 _ ابراهيم الدروبي ، المرجع السابق ، ص 171 .

2 _ المرجع نفسه ، ص 172 .

3 _ المرجع نفسه ، ص 86 .

4 _ علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،الجزء5، مطبعة الارشاد ،بغداد ،1971م ، ص 262 ,

و الشيء الذي يجب أن نذكره أن أغلب العائلات التجارية لم تكن بغدادية الأصل فهي تمتد في أصولها إلى مدن وقبائل عربية أخرى فعائلة الشاه بندر و الباجه جي والقشطيني من سوريا ، وعائلات الغنام وصالح و ثنيان وعسافي وبصام، و الخنيني من نجد ، و الجرجفجي من إيران ،وآل عطا وحسن البغدادي من عانة ، وأل الشالجي من الحجاز ،والحلاوي من حلة ،وسليمان الصالح من قبيلة عقيل ،وآل الوتار وخالد الجلبي ومراد الشيخ من الموصل ،وآل كبة من ديالي [1]، والمعلمة جي من الروم ،ومناحيل دانيل من كردستان ،وبيت ميناس من الأرمن ، أما العوائل البغدادية التجارية هي : سميكة آل الخضيري الشيخلي ، والمراياتي المزرقجي ، وعلي كافل حسين و الخاصكي ،وأبو التمن ،وبيت البحراني ، وعائلة اسكندر اسطفيان ،وآل جرجي ،وبيت نازد ،وبيت بطاط ،وبيت قحطان ، وبيت ساسون صالح . وهناك بعض العوائل رغم خسارتهم المالية و خاصة أصحاب الحرف الذين تحولوا بسبب التغيرات الجديدة إلى التجار أو ممارسة أعمال أخرى ،أو التجار الذين فقدوا أموالهم مثل :عائلة آل الرحال الذين احتفظوا بمكانتهم الاجتماعية[2] .

المطلب الثالث: طبقة العامة (المسلمون ، اليهود ، النصارى):

1_ المسلمون :

شكل المسلمون الغالبية العظمى من المجتمع البغدادي ، فقد استمد المسلمون معظم تقاليدهم وقيمهم الاجتماعية و الأخلاقية من روح الإسلام و عقيدتهم السمحاء .حيث انقسم المسلمون في بغداد إلى مذهبين فقيهين رئيسيين هما : مذهب السنة والجماعة ، ومذهب الشيعة الامامية ،و هو تقسيم قديم جدا وليس وليد الحقبة العثمانية . وكان لهذا التقسيم بعض الأثر على البناء الاجتماعي للمدينة ، وكان أتباع كل مذهب تجمعهم بعض العلاقات و السمات الفكرية و الثقافية دون أن تؤدي إلى التنازع و التصادم في الأمور الجادة و القضايا المصيرية ، فهم أبناء مجتمع إسلامي عربي واحد رغم بعض الخلافات الثانوية التي لا تلغي انتمائهم إلى وطن واحد ودين واحد و عقيدة واحدة . وقد ساهمت هجرة القبائل العربية إلى بغداد بدافع الأمان و الاستقرار ، و الكسب من القرى

2_ ابراهيم الدروبي ، المرجع السابق ، ص ص 46_ 214.

3_ المرجع نفسه ، ص 159 .

المجاورة إلى بغداد ومن الجزيرة العربية إلى تخفيف النزاعات المذهبية بين المسلمين انطلاقا من الفهم السليم و البسيط للإسلام ، الذي تعوده أبناء القبائل العربية [1].

و إلى جانب العرب المسلمين كانت هناك أعداد من المسلمين غير العرب منتشرين في محلات بغداد من الترك و الكرد و الفرس و الهنود و غيرهم ، جاؤوا على فترات متلاحقة إلى بغداد إما للتجارة ، أو لزيارة أضرحة الأولياء الصالحين ، فطاب لهم العيش في بغداد و أصبحوا جزءا من سكانها .و قد تميزت بغداد منذ القدم بكثرة المراقد المقدسة على جانبي نهر دجلة ، فكانت تلك المراقد مثابات تزدحم حولها السكان للتبرك و الاتجار و طلب العلم والتآلف و الانسجام الاجتماعي و تجمع المسلمين وتؤلف بينهم عدة مناسبات دينية مثل :أعياد الفطر و الأضحى ، و الهجرة النبوية الشريفة ، ويوم عاشوراء ، و المولد النبوي الشريف ، وعيد آخر أخذت تحتفل فيه ولاية بغداد على نحو خاص منذ سنة 1886م في آخر جمعة من شهر رمضان أطلق عليه اسم عيد الإهداء ففي هذا اليوم من كل عام يجري احتفال ديني ضخم بمناسبة إهداء السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (شعرة النبي)إلى مرقد أبي حنيفة [2]. و يجري في ذكرى يوم الإهداء احتفال مشهود حيث توضع (الشعرة) في صندوق زجاجي ثمين داخل صندوق صغير من الذهب ،وتحمل في هودج مزين بأنواع الحرير يجمله بعير مزركش بالأشرطة و المناديل ذات الألوان الزاهية ،ويقف الناس على جانبي الطريق من باب المعظم حتى باب مسجد أبي حنيفة ويتقدم الوالي و بيده زمام البعير مشيا على الأقدام ، ويتجه الأعيان و كبار الموظفين و عدد من الخدم و الحشم يحملون عددا من المباخر ،وقناني ماء الورد يرشون منها على المتفرجين و المحتفلين[3] ، واستجابة الى متطلبات التحديث و التطور الحضاري ، عمدت الشريحة الواعية و المثقفة من وجهاء و أعيان المسلمين إلى تشجيع الانخراط في المدارس الحديثة التي أنشأتها حكومة الولاية وقام كذلك عدد منهم بفتح مدارس أهلية لتخريج عدد من أبنائهم مثل المدارس الجعفرية لتلبية حاجياتهم من المتعلمين الذين يقومون بالأعمال التجارية و المهام الأخرى التي تتطلب مستوى من الفكر و العلم والثقافة ،بدلا من الاعتماد على اليهود و المسحيين الذين أتيح لهم التعليم و الثقافة قبل المسلمين بفضل الرعاية التي كانت تقدمها لهم مؤسساتهم الدينية في بغداد[4] .

1 _ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص 214 .

2 _ جعفر خياط ، المرجع السابق ، ص 23 .

3 _ علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،ج8 ، مطبعة الارشاد ،بغداد ،1971م ، ص 25 .

4_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع نفسه ، ص 216 .

على الرغم من الاحترام الواضح بين المسلمين لبعضهم البعض ،وانسجامهم و تعاونهم و تحالفهم بدافع غيرتهم الدينية و الوطنية لمواجهة أي خطر داهم أو كارثة طبيعية ، فقد كانت تقع بينهم بعض المشاحنات الذين كانوا يجدون في المنافرة و العداء بين أبناء الشعب و المجتمع فرصة لتقوية نفوذهم و جني أرباح طائلة من المتخاصمين .فقد تعصب عدد من الولاة لإحدى الطرق الصوفية دون الطرق الأخرى ،وانحاز عدد منهم إلى مذاهب فقهية على حساب المذاهب الأخرى ،وتحامل بعضهم على شرائح قومية و قبلية على حساب الآخرين . وهكذا كانت نزعة الوالي المذهبية أو الصوفية أو القومية أو المادية ،تلعب دورا رئيسيا في إشعال نار الفتن بين أبناء المنطقة ، ورغم ذلك لم يشهد المجتمع البغدادي أي حروب أو فتن مذهبية أو طائفية أو عنصرية خلال تاريخه الطويل [1].

2_ اليهود :

تعود البدايات الأولى لليهود في العراق إلى ماضي موغل في القدم ففي الوقت الذي اقترن تاريخ اليهود بالأسر البابلي الأول و الثاني ، إلا أنه كان أبعد من ذلك إذ امتد إلى عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية [2]. و تعتبر الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف في العالم و يعود أصلها من اليهود الأسرى الذين جلبهم نبوخذ نصر[3] من أرض فلسطين لبابل في العراق القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ثم عقبتها هجرات يهودية مستمرة من بلاد فلسطين على بلاد العراق لاسيما أرض الرافدين [4].

بعد تحرير العراق على أيدي المسلمين استبشر اليهود و النصارى بالفتوحات الاسلامية لأنهم كانوا تحت وطأة الحكم الفرس الوثنين "13"، ولما بنيت بغداد قصدها الناس من مختلف الأصقاع و اللغات و الأديان منهم اليهود بسبب سياسة التسامح الديني التي انتهجها معظم الخلفاء العباسيين وقد حظي اليهود بثقة الخلفاء و القادة والعرب

1_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص 216

2_ الإمبراطورية الآشورية الثانية (745_612ق.م) : استطاع الملوك الآشوريين الأوائل من القضاء على الدويلات الآرامية في سوريا و القضاء على مملكة إسرائيل سنة 732ق.م ، انظر : احمد سوسة ، العرب و اليهود في التاريخ ، دمشق ، العر بي للاعلان و النشر ، 1973م ، ص ص 86_87.

3_ نبوخذ نصر(605_562ق.م) : هو الملك الثاني في السلالة البابلية الكلدانية ،وقد حكم لمدة 43سنة ،استطاع خلال هذه المدة أن يعيد هيبة الإمبراطورية البابلية من خلال قضائه على تمرد مملكة يهوذا، انظر : حسن النجفي ، معجم المصطلحات و الأعلام في العراق القديم ، دار واسط للطباعة و النشر ، بغداد ،1981م ، ص 144.

4_ خالد أحمد العكيدي ، لمحات من تاريخ اليهود في مدينة ، الكوت لارك للفلسفة و اللسانيات العلوم الاجتماعية ، ج1، عدد 28 ، 2017م ، ص2.

ونالوا حقوقهم المدنية و الدينية [1]. و بعد سقوط بغداد في يد المغول[2] سنة 1258م انعكس سلبا على اليهود بسبب الخسائر التي مست تجارتهم و أحوالهم ، وفي العصر الجلائي (1338م/ 1411م) كان وضعهم سيئا وضاقت بهم سبل الحياة إلا أن أوضاعهم أخذت تتحسن نوعا ما في ظل السيطرة العثمانية على العراق لا سيما في عهد السلطان سليمان القانوني وذلك لما عرف عنه من رشد و حكمة و تساهل [3]. و في هذا الصدد يقول المؤرخ لونكريك "عاش النصارى و اليهود في ظل نظام كان التساهل فيه يزيد على ما كان في الولايات العثمانية الأخرى ،فإن بغداد كانت عالمية إلى حد أنها لا تشجع شيوع التعصب وعلاوة على ذلك إن هذه الطوائف ذوات أقليات من السكان كانت تسلك سلوكا أخلاقيا حسنا " [4]. ومما يجدر الاشارة إليه وجود قواسم مشتركة كانت تجمع اليهود في كل مدن العراق ،وهي تتعلق بتنسيق الحياة الاجتماعية و الطقوس الدينية رغبة في التعايش مع بقية شرائح المجتمع العراقي وللدلالة على ذلك ما ذكره الرحالة الايطالي فنشنسو (Vincenza)حينما زار العراق سنة 1656م منتقلا بين أغلب مدنه من الموصل إلى بغداد و الحلة و البصرة ،واصفا التركيبة السكانية المتنوعة للعراق حيث قال "فيها الأتراك والفرس و العرب والغرباء و اليهود والأرمن والصابئة والنصارى من مختلف الطوائف المسيحية ، ويمارس هؤلاء كلهم شعائرهم الدينية بكل حرية "[5]و يميل اليهودي للعيش في تجمعات منعزلة متجانسة عنصريا و ثقافيا تسمى (الكيتو) ،وقد تركز اليهود وسط الرصافة من منارة سوق الغزل نحو الشمال الشرقي لاتجاه منطقة الشيخ عمر السهروردي .وفي سنة 1765م زار الرحالة الدينماركي نيبور(Niebuhr) الحلة وأكد في رحلته إلى العراق أن الأقلية اليهودية في عموم العراق كانت أقوى من باقي الأقليات الأخرى ،فضلا عن مشاركتهم للأمراء و المماليك في النفوذ و السلطة بسبب سيطرتهم على التجارة و أسواق المال [6]، وكان اليهود يحتكرون التجارة التجارة وكان من بينهم كبار تجار الايالة و تجارتهم واسعة النطاق وتمتعوا بنفوذ واسع بسبب علاقتهم المميزة مع الولاة و كبار الموظفين حيث يتمتعون باستقلال ذاتي في إشراف على أمورهم الدينية و إدارة معابدهم و مؤسساتهم

1_ خلدون ناجي معروف ، الأقلية اليهودية في العراق 1451م _ 1921م ، ج1 ،ط1، طبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ،1975م ، ص ص24_25.

2_المغول : هم قبائل عرفت بالوحشية والهمجية تقطن هضبة منغوليا توحدت معظم القبائل الماغولية تحت حكم جنكيز خان سنة 1206م.

3_ خلدون ناجي معروف ، لمحات من عن يهود العراق في العهد العثماني ، الدراسات الفلسطينية ، مجلة بغداد ، مج2، العدد 4،أيلول 1973م، ص ص 4_50 .

4_ ستيفن همسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص 113 .

5_ ماريه دي سانتا فنشنسو ، "رحلة فنشنسو الى العراق في القرن "17، تر: بطرس حداد ، مجلة المورد ، بغداد ، مج5 ،العدد3، 1976م ، ص 85 .

6_ أندري ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ،تر: لطيف فرج ، ط1،دار الفكر للدراسات و النشر ، 1991م ، ص 86.

التعليمية خاصة بعد صدور خط الهمايون سنة 1856م [1]،و كانت استقلالية اليهود تكمل في تسيير أمورها الدينية و إدارتها لمؤسساتها الخيرية و التعليمية. وكان على راس طائفة اليهودية جهازين : أحدهما ديني و الآخر مدني وكانت الأمور الروحية بيد رئيس الحاخامية (حاخام باشي) الذي يعينه الباب العالي والإدارة المدنية بيد أحد أفراد أرفع الأسر مكانة و يدعى الناسي[2]،ويأتي بعدهم المجلس المالي ويتكون من عشرة رجال ومحكمة حاخامية برئاسة حاخامي باشي ، وكان زعماء الطائفة اليهودية المسؤولين عن دفع الضرائب المتوجبة لحكومة الولاة التي كانت تتألف من ضريبة الجزية تدفع عن كل ذكر يبغ 12 عاما فما فوق وهي ضريبة سنوية وقد أعفي منها اليهود مقابل دفع بدل عسكرية إلا أن هذا الامتياز ألغي في نهاية القرن 19م عندما انتقلت هذه الوظيفة إلى أيدي محصل الضرائب الحكومي[3] .

ويذكر أن تركز اليهود كان في جانب الرصافة باعتباره مركزا تجاريا ولإحساسهم بالأمان حيث مركز السلطة "بغداد"، وتظهر الخرائط الرسمية بأن الطائفة اليهودية تركزت وسط الرصافة عند جامع الخلفاء و عرف محلتهم بمحلة التوراة حيث أخذت هذه المحلة بالتوسع في القرن 19م إذ ضم إليها أجزاء أخرى من المحلات المجاورة فأصبح الغيتو اليهودي[4] ، ويمكن تمييز محلاتهم من النظرة الأولى فلمنازلهم شبابيك و مشارف ذات سياج حديد تطل على الأزقة و و هي كانت مغلقة لليهود و اتصفت بيئتها بالقذارة و اكتظاظ السكان فيها إذ كانت دائما منبع الأوبئة التي تنتشر في بغداد . اذن فإن أوضاع اليهود في بغداد تشير خلال هذه الحقبة إلى أنهم أقلية منظمة وتعتمد على التجارة بشكل كبير في المعاش ،ولا تعاني من التمييز وسوء المعاملة و تحظى بحرية دينية كاملة لأن الدولة العثمانية انتهجت سياسة التسامح الديني و لين في معاملة الأديان الأخرى ،كما أنهم تمتعوا بمؤسسات خاصة بهم دينية و مدنية . كما ذكر في هذا الصدد الرحالة كوبرا (Kopera)حيث يقول "لا يعاني اليهود أي نوع من أنواع الاضطهاد و يشكلون في واقع الأمر جزءا ذا أهمية كبرى في حياة بغداد "، فتمتع اليهود بحرية النشاط السياسي و الاقتصادي

1_ خط الهمايوني : هو قانون عثماني وضعه السلطان عبد المجيد الأول في الرابع من شباط 1856م، الغرض منه تنظيم بناء دور العبادة في جميع الولايات التابعة للدولة العثمانية ،يطبق على كل الملل و الأديان غير الاسلامية ، انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى ،في أصول التاريخ العثماني ،ص 107 .

2_ الناسي : هي كلمة عبرية معناها قائد أو زعيم أو شيخ القبيلة ،وكان هذا اللقب يمنح لرؤساء اليهود ،و يعطى لأكثر اليهود مالا و احتراما ، انظر : خلدون ناجي معروف ،لمحات عن يهود العراق ،المرجع السابق ، ص ص 53_54 .

3_ يوسف رزق الله غنيمة ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ،ط1، مطبعة الفرات ، بغداد، 1342هـ/1924م ، ص 167

4_ الغيتو اليهودي : هو مصطلح شائع الاستعمال المقصود به مجتمع محلي صغير منعزل و يكون في العادة متجانس عنصريا و ثقافيا على الرغم من وجوده داخل مجتمع كبير ، انظر : عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الاسكندرية ، 1790م ، ص 208 .

دون أن يتعرضوا لأي مضايقات أو قيود فمارسوا نشاطهم الاقتصادي بحرية كاملة حيث كانت تجارة العراق عامة و بغداد خاصة بأيديهم بواسطة وكلائهم المنتشرين في مانشستر و بومباي و باريس و لندن . و يصف كوبرا تجار اليهود بقوله " يشاهد في الشوارع العديد من اليهود ذوي المظاهر النبيلة و المشرفة ، عادة ما يرتدي هؤلاء ملابس حرير و أكمام ملونة " . وكانت بغداد من أكثر المدن تجمعا لليهود ، وقد تسلم اليهود عدة وظائف ادارية في المؤسسات العثمانية مثل دوائر الجمرك .كما امتهنوا التجارة و الحرف المختلفة، وكانت لهم في بغداد أحيائهم الخاصة بهم، وكانت عانة من المدن التي تشتمل على أعداد لا بأس منهم[1] .

3_ النصارى :

لقد كان الوجود المسيحي في بغداد في القرون الثلاثة الأولى من الحكم العثماني للعراق ضعيف و يتسم بعدم الاستقرار بسبب العلاقات المتوترة بين الحكومة العثمانية ، و كان للصراع القائم بين الكنائس الأوروبية الكاثوليكية[2]والأرثوذكسية[3] والبروتستانتية[4] وغيرها في السابق على التبشير والاستحواذ على الساحة المسيحية أثره بالغ في انكماش أعداد المسيحيين ،وقد توافدت الأسر المسيحية على بغداد من إيران و ديار بكر و ماردين وأرمينيا و غيرها طلبا للأمان و هربا من القتل و السلب و النهب التي كانت تحصل في تلك المناطق [5].

ومن السياح الذين كتبوا عن نصارى بغداد الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا(pedro Teixeira) فقد شاهد فيها سنة 1604م ثمانين بيتا من النساطرة و عشرة بيوت من الأرمن ، وأفاده الرحالة الإيطالي بيتر

1 _ إيناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق ، ص 550 .

2_المذهب الكاثوليكي :هو من المذاهب الدين المسيحي وهو من اقدمها وهم من اتباع البابا في روما الكنيسة الغربية واهم ما يتميزون به هو: قولهم بان روح القدس انبثق من الاب والابن معا وكان البابا الفتيكان هو الرئيس العام لجميع الكاثوليك .

3_المذهب الارثوذكسي : وهو من المذاهب الدين المسيحي الذي انشق عن المذهب الكاثوليكي لأسباب سياسية اكثر منها دينية واشتهر في أوروبا الشرقية في القسطنطينية عام 1054م

4_المذهب البروتستانتي :هو مذهب مسيحي ظهر إثر حركة الإصلاح التي قام بها مارتن لوثر في ألمانيا في القرن السادس عشر ضد اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية وهو من أكثر المذاهب اعتناقا في العالم .

5_ رفائيل بابلو إسحاق ،تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى يومنا هذا ،مطبعة المنصور، بغداد ،1948م، ص124،

دلفالي(peitro della valle)بأن عدد النصارى في دار السلام 1616م كان قليل ،وقد جاء معظمهم من ماردين و ديار بكر منذ أمد غير بعيد [1].

وهم ينقسمون حسب القوميات و المذاهب التي ينتمون إليها يأتي في مقدمتهم الأرمن الذين يشكلون الأغلبية من النصارى في بغداد ،وقد تحول الكثير من الأرمن إلى المذهب الكاثوليكي ويرجع سبب ذلك إلى عدم وجود كنيسة أرثوذكسية حتى عام 1846م [2].وذكر تواجد الأرمن في العراق منذ قرون عديدة حيث جاءت موجات الأرمن من أرمينا عبر إيران و استوطنوا جنوب العراق في بادئ الأمر حيث أنشأت للأرمن أبرشية في البصرة 1222م ثم بدأت هذه الموجات تتجه في الفترة اللاحقة نحو بغداد حيث سجلت طائفة الأرمن كطائفة تدين بالمسيحية في العراق 1638م وتوجد أقدم كنيسة للأرمن في بغداد في منطقة الميدان وهي كنيسة مريم العذراء وقد بنيت عام 1639م خلال فترة الحكم العثماني بناء على طلب أحد القادة العسكريين و الذي كان أرمني الأصل ،ويأتي بعد الأرمن الكلدان وهم من السريان النسطوريين وقد اعتنقوا المذهب الكاثوليكي ،فأطلق عليهم الكلدان المتحدين ،وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية في كنيسة الآباء الكرملين ببغداد ،وفي عام 1853م افتتحوا كنيسة خاصة بعم عرفت كنيسة الأحزان ،وفي عام 1855م حصلت الموافقة من الدولة العثمانية بالاعتراف بالكلدان كطائفة مستقلة[3] .و يأتي بعدهم طائفة طائفة السريان الكاثوليك و يرجع أصلهم إلى السريان اليعاقبة الأرثوذكس ،وقد اعتنقوا المذهب الكاثوليكي وقد بنيت أول كنيسة لهم عام 1851م في عقد النصارى عرفت بمريم العذراء وفي عام 1853م افتتحت كنيسة جديدة عرفت بكنيسة المحبول بلا دنس في عقد النصارى أيضا [4].

كان على أفراد الطوائف الدينية ومنهم المسيحيين يؤدون الجزية إلى السلطات العثمانية وكان جباة الجمرك و الخراج مسؤولين على جباية هذه الجزية ،ويبدو ان ذلك لم يكن يخص مسيحي بغداد وإنما كافة المسيحيين في العراق[5] .

1_ فرنسيس صائغيان البغدادي، تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق ، بيروت ،1944م ، ص ص 4_5 .

2_ المرجع نفسه، ص 5.

3_ أحمد عبد الواحد عبد النبي، التخطيط العمراني و السكاني لمدينة بغداد في عهد الوالي العثماني مُحَمَّد الكوز لكي 1852م_1875م ،مجلة التراث العلمي العربي ، العدد 1 ،2017م ، ص 84 .

4_ المرجع نفسه ،ص 84 .

5_ ايناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق ،ص 549 .

و يظهر أن البعثات التبشيرية البروتستانتية في القرن التاسع عشر كانت احد عقبات المذهب الكاثوليكي حينما بدأ المبشرون البروتستانت نشاطهم في بغداد وكان كروفس (kroufes) من اول المبشرين الذين وصلوا الى بغداد سنة 1829م واتخذ دارا له في محلة النصارى و اتخذها مدرسة لأبناء الأرمن و بناتهم ،فأنشأ علاقة طيبة مع البغداديين و باشر بعلاج أمراض الأسنان و العيون وتوزيع الكتب المقدسة إلا أنه فشل بسبب مقاومة الكاثوليك لنشاطه [1].ثم ازداد نشاط البروتستانت بسبب دوافع سياسية ويؤكد السائح الأمريكي وليم فوك الذي زار بغداد سنة 1874م أن عدد سكان البروتستانت لا يتجاوز العشرين شخصا تقريبا .ولقد بذل المبشرون الجهود المضنية لاستمالة المجتمع المسيحي إلى التعاليم البروتستانتية إلا أنهم لم يجنوا ثمرة أتعابهم إذ أن عدد البروتستانت في بغداد لا يستحق الذكر فقدرهم لا يتجاوز 100 شخص سنة 1892م.و ازدادت الحريات التي تتمتع بها النصارى بعد صدور مرسوم كولخانة سنة 1839م ثم مرسوم إصلاحات الخط الهمايوني سنة 1856م حيث ساوى بين الأقليات الطائفية و درج فيها حقوق النصارى و سلطة رؤسائهم الدينية و إدارة شؤون مؤسساتهم فضلا عن أحكام أخرى في حرية التدين و التمذهب بأي مذهب كان[2].

وكان معظم نصارى بغداد يعملون في الصناعة الشاقة والتجارة و الحدادة و المهن الحرة الاخرى ،ويزاولون البيع والشراء في الأسواق أو يتقلدون وظائف الترجمة لدى القناصل .أما الفئة الغنية منهم وهي نسبة قليلة فكانت تمارس العمل التجاري ويذكر جان بانسب روسو قنصل فرنسا في بغداد أعمال الطائفة المسيحية بقوله" إن نصارى بغداد على اختلاف طوائفهم يعيشون عيشة عديمة الرفاهية وهم يتعاطون البيع و الشراء الداخلي ،ويزاولون مهنة الطباعة على الأقمشة و غيرها من المهن اليدوية وأما العدد اليسير من التجار فمعظمهم أرمن من اسطنبول قد أثروا بمعاطاة التجارة "[3] .كما إن نصارى بغداد كانوا يتجمعون في محلات خاصة ،ولا يعني هذا أن هناك ما يفصلهم عن المحلات البغدادية الأخرى وإنما كانوا يميلون إلى التمركز ضمن مجموعات خاصة بهم ، وتركز معظمهم في منطقة الميدان قرب القلعة الداخلية و يمتد القسم الآخر في محلة سوق الغزل من قلب المدينة حتى يتصل بتجمع آخر في محلة واحدة رأس القرية و في داخل محلاتهم يتجمعون حسب القوميات و المذاهب التي ينتمون إليها [4].

1_ حارث يوسف غنيمة ، البروتستانت و الإنجيليون في العراق ،مطبعة الناشر المكتبي ، بغداد ، 1998م ، ص 73 .

2_فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ،المرجع السابق ، ص 224.

3_ رفائيل بابلو إسحاق ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى يومنا هذا ، المرجع السابق ،ص 135 .

4_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص 226 .

المبحث الثالث

(الحياة الاجتماعية في بغداد خلال العهد العثماني)

* المطلب الأول : المظاهر الدينية والفنية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني .

* المطلب الثاني :الخدمات العمومية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني .

* المطلب الثالث :عادات وتقاليد المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني.

المطلب الأول: مظاهر الحياة الدينية والفنية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني:

1_ مظاهر الحياة الدينية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني:

أ _مظاهر الحياة الدينية عند المسلمين في بغداد خلال العهد العثماني:

_ صلاة الجمعة :

يوم الجمعة هو عطلة المسلمين، حيث تؤدي فيه شعائر خاصة على وفق تعاليم الدين الإسلامي ،فينصرف جميع الناس من مختلف الفئات إلى الجوامع في منتصف النهار لأداء صلاة الجمعة ،وحرص جميع الولاة على أدائها لقوله تعالى" **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع** " سورة الجمعة الآية 10 ،إذ يخرج الوالي العثماني في موكب يتبعه كبار الموظفين وأعيان المدينة لأداء صلاة الجمعة في إحدى الجوامع الكبرى ويشترط في نهاية الخطبة ذكر السلطان والدعاء له ،إذ كانت الأوامر تصدر من الحكومة المركزية عند جلوس سلطان جديد تأمر بتلاوة الخطب المنبرية باسم الخليفة الجديد .وبعد الصلاة يستمعون إلى مجالس الوعظ وتصدر الأوامر إلى الولاة دائما تؤكد على المواظبة على صلاة الجمعة في المساجد ،وإعلان ذلك لعامة الناس ، وعند الانتهاء من صلاة الجمعة ينصرف جميع المسلمين إلى أداء أعمالهم اليومية وقد يقوم البعض برش ماء الورد على المصلين عند خروجهم من الصلاة[1].

_ الأعياد والمناسبات الدينية :

- **الاحتفال بشهر رمضان :**

كانت الحكومة عند حلول شهر رمضان تقوم بإضاءة المساجد والمآذن ،وتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين .وتحي عامة أهالي بغداد ليالي هذا الشهر الفضيل بالخروج إلى المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح وتلاوة القرآن الكريم ،والبعض من العائلات الثرية تجلب قراء القرآن الكريم إلى بيوتهم طيلة شهر رمضان ومن أشهر قراء القرآن الكريم في بغداد آنذاك الخواجة مُحَمَّد سعيد ،الحاج مُحَمَّد البغدادي ،الملا أحمد الأفغاني ....الخ ،وبعد

1_فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ،المرجع السابق ، ص ص 321 _322.

الانتهاء من تأدية الشعائر الدينية يذهب البعض منهم لزيارة أصدقائه أو لحضور مجالس العلماء وأعيان المدينة ،والبعض يمارس لعبة المحبس والصينية[1] في المقاهي أو المجالس. وكان ينتشر الهدوء أثناء النهار حيث تغلق العديد من المحلات ويسود نوع من الفتور وخمول جميع الأشياء في بغداد ،ومع اقتراب المساء يتجمع السكان في المساجد والمقاهي ينتظرون اطلاق مدفع الإفطار[2] .

- **الاحتفال بعيد الفطر:**

في الليلة الأخيرة من رمضان يصعد الناس على السطوح لمشاهدة هلال شهر شوال لوداع شهر رمضان الكريم وعندما يتم التثبت من رؤية الهلال تبدأ مراسيم الاحتفال بعيد الفطر، ففي هذا اليوم يرتدي عامة الناس ملابسهم الجديدة ويتوجه معظم الرجال إلى المساجد وعلى رأسهم الوالي لأداء صلاة العيد ؛أما عامة الرجال فبعد انتهاء صلاة العيد يتوارد المهنئون لتقديم التهاني لبعضهم البعض وتقوم العائلات بزيارة ذويهم وأقاربهم ويحتشد الناس لزيارة موتاهم في المقابر أول أيام العيد وقراءة آيات قرآنية على أرواحهم وتوزيع الصدقات في ثوابهم .ويذهب الأطفال إلى الميادين العامة التي تعرف البهجة تنصب فيها الأراجيح ويقال لها مراجيح ودواليب الهواء لتسلية الصغار والتي كانت مجالا لصرف عيدياتهم التي تعطى لهم من قبل الأهالي حيث توجد وسائل اللعب واللهو وغالبا ما تكون قرب أو بجانب مراقد الأولياء الصالحين، وأحسن فرجة كانت في ساحة عمر السهروردي حيث تقام فيها من جهة الباب الوسطاني مسابقة الخيل وتسمى المنطرد تقام تحت إشراف المرحوم مُحَمَّد باشا الداغستاني وبعد انتهاء السباق تدق الطبول والمزامير ويرقصون رقص الجوبي ابتهاجا بيوم العيد[3] .

1 _لعبة الصينية والمحابس :للبغداديين ولع شديد هذه اللعبة حيث تستغرق وقتا طويلا وقد يكون إلى وقت إطلاق مدفع السحور ومن قواعد اللاعبين بهما مثلا أن أهل محلة الفضل يدعون أهل محلة باب الشيخ والعكس فيستقبلونهم بكل حفاوة وتقدير وقد يجوز افساح المجال للمدعوين التغلب على الداعين تقديرا لهم وبانتهاء يقدمون لهم الحلويات رمضان .

2 _عزيز جاسم الحجية ، المرجع السابق ، ،ص 105 .

3 _ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص ص 87_88 .

➢ **الاحتفال بعيد الأضحى:**

عند أداء فريضة الحج في العاشر من شهر ذي الحجة يحتفل المسلمون بعيد الأضحى ،ويخرج الناس أيضا لصلاة العيد و تمتلأ الشوارع ومقامات الأولياء والميادين العامة بأناس من مختلف فئات المجتمع ويقومون بعد صلاة العيد بذبح الأضحية ؛فتتعالى أصوات المرح والنشاطات الترويحية من غناء وموسيقى وتوقد نيران القناديل وتمارس عندها ما يثير إعجاب الرحالة الأجانب عند مرورهم ببغداد في تلك المناسبات ،ويأمر الولاة بمنح عطايا العيد إلى سائر موظفيه وأتباعه وإلى قراء المساجد وخدمهم وغيرهم .وهذا العيد لا يختلف عن عيد الفطر إلا في نحر الضحايا وتوزيع لحمها على الفقراء وإقامة الولائم والاستمرار بالاحتفال بهذا العيد لمدة 4أيام[1] .

➢ **الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :**

إن الاحتفال بذكرى مولد النبوي الشريف يصادف اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول حيث يشترك فيه جميع أهل المدينة اعتزاز بهذه المناسبة الشريفة فكان بمثابة عطلة رسمية، ويتضمن هذا الاحتفال إقامة المناقب النبوية في المساجد الرئيسية في بغداد وتتدفق الحشود المختلفة إلى هذه المساجد تعبيرا عن فرحتهم بهذا اليوم العظيم وتضاء المآذن بالمصابيح وتوقد القناديل الكثيرة في الدروب والأسواق ،فيجري احتفال كبير في جامع الإمام الأعظم برعاية الوالي يحضره قائد الجيش وكبار الضباط ووجهاء مدينة بغداد ويقام مولد كبير وتتلى في الأناشيد الدينية، وتقوم دائرة الأوقاف من جانبها بطبخ الأطعمة وتوزيعها على الفقراء كما توزع بعض النقود على الأرامل والأيتام [2].

_الزيارات الدينية :

كان للمسلمين في المجتمع البغدادي مواسم لزيارة المراقد الدينية ،البعض منها سنوية تحدد خلال ايام معينة من السنة لزيارة المراقد الدينية البعيدة عن المدينة كزيارة سامراء والسيد مُحَمَّد في الصيف حيث يكون هناك الحر رائقا وخفيفا ؛وزيارة كربلاء في الثالث عشر من محرم وفي العشرين من صفر ؛وزيارة النجف الأشرف في أول رجب ومنتصف شعبان وفي أيام عيد الأضحى .أما زيارة المراقد والأضرحة القريبة في داخل المدينة تكون وفق نظام دقيق لم يتغير لقرون مضت هذا النظام موزع على أيام الأسبوع فيوم السبت لزيارة المرقد الإمام موسى الكاظم في قضاء

1 _ عزيز جاسم الحجية، المرجع السابق ، ص ص 106_107 .

2 _ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 89_91 .

الكاظمية وجامع براثا ؛ويوم الأحد لزيارة المرقد المنسوب لمريم بنت عمران في منطقة كرادة مريم في جانب الكرخ ؛ويوم الاثنين لزيارة مرقد عمر السهروردي والسيد إبراهيم وهو مزار في وسط مقبرة واسعة مقابل الشيخ عمر ؛ويوم الثلاثاء لزيارة مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني في محلة باب الشيخ ؛ويوم الأربعاء لزيارة مرقد أم رابعة في الأعظمية والشيخ جنيد في جانب الكرخ ؛ويوم الخميس لزيارة السيد إدريس في الكرادة الشرقية ؛ويوم الجمعة لزيارة مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان في العظمية ،ويطبق هذا النظام في الأيام التي تعقب عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الربيع والتي تعرف بأيام الكسلة فيخصص كل يوم لزيارة المقام أو الضريح المخصص له .ولكن يرافق هذه الزيارات خلال هذه الأيام الاحتفالات ويصطحب الناس معهم طعامهم وأفرشتهم حيث يقضون اليوم بأكمله بالمرح واللهو واللعب وتتحول ساحتها إلى أسواق رائجة بنشاط في باعة الحلوى والكرزات والفواكه وانواع الكعك . كانت هذه الزيارات الدينية خاصة في أيام الأعياد مبررا دينيا لدوام الفرح والسرور[1].

ب _ مظاهر الحياة الدينية عند اليهود في بغداد خلال العهد العثماني:

_ الأعياد والمناسبات الدينية :

- **عيد الكفارة (الغفران)** : هو يوم التذلل والدموع ورمز ليوم الصليب ،اسمه في العبرانية يوم هاكبور ،يحتفل اليهود بهذا اليوم في اليوم العاشر من الشهر السابع من سنتهم الدينية المقدسة [2].
- **عيد الفصح** : **وهو يوم** يأتي في الرابع عشر مساء أي ليلة اليوم الخامس عشر من شهر أبيب ومعناه شهر الخضرة أو **تكوين السنابل** الذي دعي بعد السبي البابلي "نيسان"[3] .
- **عيد المظال** :هو ثالث الأعياد السنوية الكبرى التي كان يجب فيها على كل ذكر في إسرائيل أن يتراءى أمام الرب في الموضع الذي يختاره ،ويعرف بالعبرانية ،واشتق الاسم من عادتهم في أن يسكنو مظالا أثناء مدة العبادة [4].

1 _فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص ص 329 _330 .

2 _ كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة ، ط1، دار الاعتصام ،الاسكندرية ، 1981م ، ص223 .

3_ عبد الحميد الأرقط ، دور الأقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني (1517م_1917م) ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ،تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، 2020م_ 2019 م ،ص 71.

4 _ غازي السعدي ،الأعياد والمناسبات والطقوس عند اليهود ، ط1،دار الجيل للنشر ،عمان ،1994م ،ص 13 .

_ الزيارات الدينية :

- **مرقد يوشع كوهين كادول:** الواقع في الجانب الغربي من بغداد، ويعد من أئمة اليهود وصلحائهم وسمونه النبي يوشع أورين يوشع كوهين كادول وهو يقرب مرقد الشيخ معروف الكرخي ،كان اليهود يقصدونه للزيارة والتبرك [1].
- **مرقد الشيخ اسحاق الغاووتي** : يقع في إحدى محلات الرصافة ،وهو عبارة عن كنيس يحوي بداخله مرقد احد الربانيين اليهود اسمه اسحاق الغاووتي ،ويعود تاريخ هذا المرقد غلى القرن السابع ميلادي[2] .
- **مرقد حزقيال (الكفل)** :على بعد 20ميل من جنوب الحلة تشاهد قرية الكفل وفيها مرقد النبي حزقيال ،وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى "**واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين**" سورة الأنبياء الآية 85 ،كان يقصده اليهود للصلاة والدعاء لاسيما في رأس السنة وعيد الكفارة [3].

ج _ مظاهر الحياة الدينية عند النصارى في بغداد خلال العهد العثماني:

_ الأعياد الدينية :

- **عيد القيامة (الفصح)** : أهم أعياد النصارى السنوية ،ويسبقه الصوم لمدة اربعين يوما قبل أحد الفصح [4].
- **عيد البشارة** : اسم تقليدي للصيام عند النصارى ،اعتقادا منهم بأنه بشارة جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام بحملها للمسيح ويصادف ذلك اليوم الخامس والعشرون من مارس[5] .
- **عيد ميلاد المسيح** :مناسبة هذا العيد لديهم هو تجديد ذكرى مولد المسيح _عليه السلام _كل عام ويسمى عيد الكريسمس وهو يوم الخامس والعشرون من ديسمبر عند عامة النصارى [6].

1_ يوسف رزق الله غنيمة ،نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، المرجع السابق ، ص 203 .

2_ المرجع نفسه ، ص 207 .

3_عبد الحميد الأرقط ، المرجع السابق ، ص 101.

4_ابراهيم بن مُحَّد الحقيل ، أعياد الكفار وموقف المسلم منها ، الرياض ،ص 40 .

5_ المرجع نفسه ، ص 44.

6_ ابراهيم بن مُحَّد الحقيل ،المرجع نفسه، ص 41 .

_الزيارات الدينية :

كما كان للنصارى المسيحيين زيارات دينية في بغداد حيث كانوا يقومون بزيارة كنيسة خضر الياس من أجل العبادة ولكي يسمح لهم الأتراك بزيارة هذه الكنيسة كان يجب على النصارى دفع مبالغ زهيدة لهم ،ويقومون بزيارة قبر مار شمعون ومار يهوذا فعندما توفيا حضر جميع النصارى إلى مراسم دفنهما ثم يرجعون إلى البيت فيجدون الطعام معدا لهم ؛وفي اليوم الثاني يعودون إلى القبر ويصلون على المتوفي ؛وفي اليوم الثالث يهيئون العشاء للغادي والرائح وقد يجتمع أحيانا أثناء الدفن نحو **150** شخصا ،وهذه الرسوم تتكرر في اليوم السابع والخامس عشر والثلاثين والأربعين بعد الوفاة وهذا دليل على احترامهم العظيم للميت الذي يصلون من أجله مرارا وهذه عادة تكريمية للمتوفي[1].

2_ مظاهر الحياة الفنية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني

أ_ مجالس الأنس والطرب :

تقام مجالس الأنس والطرب استجابة للتمتع ببهجة الحياة ولذاتها ومن أجل التنفيس عن الآلام السياسية والاجتماعية أو قتلا للفراغ وعلى شواطئ دجلة خارج أسوار مدينة بغداد في البساتين والمزارع [2]،وكان العامة والخاصة من الناس يلهون ولكل جماعة مجلس خاص بها حسب قدراته المادية ، وتبدأ مجالس الأنس والطرب عصر كل يوم حتى وقت العشاء وبعض الأحيان تستمر حتى شروق الشمس . وغدت الخمرة ومجالس اللذة خير أداة لإضاعة الوقت فيجتمع الأصدقاء فيختارون مجالسهم للشراب وخير الندماء وأجمل الغلمان[3].مع أن الحكومة العثمانية آنذاك كانت تمنع التظاهر بشرب الخمر حتى إن عدد الخمارات لم يكن يتجاوز أصابع اليد ،وكان النصارى واليهود هم من يقومون بصنع الكحول في بيوتهم ويبيعونها إلى الناس .فالمجتمع البغدادي لا يخلو ممن يتعاطون شرب الخمر خاصة أولئك المحتكين بالعائلات اليهودية أو النصرانية الذين تعودوا على شرب الكحول إما في المايخانات[4] أو في مجالسهم التي يقيمونها خارج أسوار مدينة بغداد بعيدا عن المجتمع [5] .

1_رفائيل بابلو إسحاق ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى يومنا هذا ، المرجع السابق ، ص 56.

2_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص 346 .

3_ يوسف عز الدين ، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، قاهرة ،1965م ، ص 164 .

4_ المايخانات : عبارة عن مواخير مظلمة لا يدخلها شمس ولا هواء .

5_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 117 .

ومن المجالس التي كان يلتقي فيها الناس من أجل الترفيه تأتي في مقدمتها القصور الخاصة ومنتزهاتهم التي كانت عامرة بمجالس اللهو والشراب والأنس ، كما كانت تقام في هذا المجالس الأحاديث الأدبية والمسامرات الطريفة كما تقام حفلات الجالغي البغدادي[1]، وعند نهر دجة يلتقي الشعراء والأدباء للتمتع واللهو ويختار . كما كان بعض المقاهي مجالسا للأنس والطرب إذ تعزف بها فرق الجالغي البغدادي التي كانت أغانيهم على أسس مدروسة تلقوها عن طريق التدريب الشفوي المستمر وحفظ الألحان ،فيغني المغنيون المقام العراقي المقسم إلى خمسة فصول ومقام البهرزاوي ، وفي بعض الأحيان تقام حفلات البغدادية في بيوت خاصة توجد فيها كؤوس الخمر ماعدا ليالي رمضان[2]. ولم تقتصر مجالس الغناء على الرجال فقط ، فالنساء أيضا كان يقمن بحفلات عند زياراتهن لبعضهن البعض في بعض الأحيان فيقمن بالرقص والغناء بالاستعانة بالمغنيات والراقصات اللواتي يعزفن بالموالي وجوق الدقاقات ،فتتعالى الأصوات الرقص والغناء والتصفيق فيما بينهن إلا أن حفلاتهن كانت داخل البيت وفي نطاق ضيق [3] .

ب _الملاهي :

لم تظهر الملاهي في بغداد إلا في مطلع القرن العشرين ،عندما حول أول مقهى (مقهى السبع)إلى ملهى في ساحة الميدان ولم يكن الملهى على ما هو متعارف عليه في تقديم الرقصات واستعراضات غنائية، وإنما كان يقتصر على تقديم الجالغي البغدادي [4]مع وجود بعض الغلمان يرتدون ملابس نسائية لتقديم فقرات الرقص والتمثيل لتسلية المشاهدين[5] وعرفت ب(التياترو)[6]. ولكنه بعد إعلان الثورة الدستورية سنة 1908م سمح لأهل الذمة بفتح دور اللهو(حانات الخمر) فبدأت موجة جديدة من تحويل المقاهي إلى ملاهي وجلب الراقصات من مصر وسوريا وكان ملهى بنت الوسواس أول ملهى شهد الراقصات وقد لاقت منتديات اللهو إقبالا كبيرا من الشباب ،إذ كانت قهوة

1_ الجالغي البغدادي : هو الجوق الموسيقي البغدادي يتألف من فرقتين تحتوي على الكمان والسنطور والدف ودنبك .

2_ جلال الحنفي ، المغنيون البغداديون والمقام العراقي ، بغداد ، ص 23 .

3_ جيمس بيلي فريزر ، المصدر السابق ، ص 145 .

4_ انظر الملحق رقم 06 ص 103 .

5_ عبد الكريم علاف ، المرجع نفسه ، ص 121 .

6_ التياترو : كلمة فرنسية تعني المسرح .

الشط قد حولت إلى ملهى تستوعب ما يزيد عن 700مقعد تحجز يوميا ،والبعض يدفع رسوم الدخول دون وجود مقعد أو مكان يجلس فيه [1].

وغدت أغلب المقاهي موئلا لتلك الراقصات ،وقد حصلت الراقصات على أموال كثيرة مما دفع بالعديد من الراقصات أن يفدن من مصر وبلاد الشام إلى بغداد لكسب المال .وكثيرا ما أدت هذه الظاهرة الجديدة إلى مشاكل ونكبات فجعت فيها عوائل كثيرة ذهب ضحيتها نفوس عديدة [2].

ولقد كانت هناك الملاهي التي تختص بعرض استعراضات الغناء والتمثيل فقط وكانت تخلو من أي مشروبات روحية أو مأكولات ،إلا أن البعض يذهب إلى المايخانات ليشرب ثم يعود بعد ذلك إلى الملهى ,وكان (بار ماشا) اليهودي أشهر ملهى في بغداد[3] .

ج _ التمثيل والمسرحيات :

شهدت الكثير من المقاهي مجالس القصاص التي يرجع وجودها إلى أيام العرب في الجاهلية و ازدهرت في العصر العباسي الأول إذ كان القصاص يتصدر مجالس الخاصة والعامة ،فكانت مجالس القصاص تراثا شعبيا عربي الأصل ورثه البغداديون وعرف عندهم (بالقصة خون) فكان القصاص يعقد على رأسه لفة أو لفتين تشبيها (بالشقاوة) ، فيقص على سامعيه من كتابه الذي بيده جالسا على مكان مرتفع بصوته الجميل الرنان بعد البسملة والصلاة والصلام على النبي الكريم فيبدأ بقص (حروب عز)أو (مخاطر سيف بن ذي يزن) أو (وقائع أبي زيد الهلالي) فينتقل بهم عبر إلى عصور أولئك الأبطال ،يصاحب ذلك ما يقوم به القصاص من حركات مختلفة لجذب انتباه المشاهدين فيأخذ حماس الجمهور ،وإذا بالبطل يقع أسيرا بأيدي الأعداء فيتوقف القصاص عند هذا الحد ليكمل القصة في اليوم الموالي[4] .

وكانت لهذه المجالس تأثيرا على العامة لأنها تذكر بماضي العرب وأمجادهم وتراثهم فتعطي معلومات تاريخية عن بطولات العرب وكرامتهم في العصور السابقة بأسلوب قصصي قريب من مستوى إدراك العامة ،رغم أن القصص

1_ علي الوردي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 254 .

2_فيصل الأرحيم ،تطور العراق تحت حكم الاتحاد بين (1908م_1914م) ، الموصل ،1975 م ، ص239 .

3_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص 358 .

4_ المرجع نفسه، ص ص 352_353 .

الخيالية مستوحاة من واقع طبيعة الحياة العربية فكلام القاص يجري حسب ميول العامة ويرضي طموحهم ولذلك كانت حكايات القصاص سهلة ومسلية ،وكثيرا ما كان العامة يحضرون مجالس(القص خانة) [1] ويترقبون وصوله لإكمال القصة السابق أو ابتداء قصة جديدة لقضاء وقت فراغهم والاستمتاع بالقصص لتهوين عن أعباء الحياة اليومية ،وإذ سئموا من الجلوس في مقاهي غناء ذهبوا إلى مقاهي (القص خانة) التي كانت معروفة في كل حي . وعرفت بعض المقاهي ما يسمى خيال الظل(قره قوز) الذي يقدم مشاهد مسرحية يتدخلها مشاهد من الهذل والفكاهة تعرض عن طريق عرائس من الجلد أو الورق وتوضع خلف الستائر بيضاء اللون خلفها مصباح بحيث يعكس خلالها على الستار ليراها المشاهد من وجه آخر ، والبعض يقدم عروضا مسرحية هزلية تقوم بأدوارها كشخصيات فكاهية يعرفون باسم(أخباري) عرضت في مقهى (التبانة) ومقهى الشط ليلا [2].

كما شهدت الحركة المسرحية طابع جديد نالت اهتمام الأوساط المثقفة تولتها مدارس المسرح وخاصة بعد إعلان الدستور العثماني، وكان ظهور التمثيل في بغداد واتجاهه إلى السياسة بتقديم تمثيلية عن الوالي مدحت باشا دليل على استبشارهم وشعورهم بنوع من الحرية [3] .

المطلب الثاني: الخدمات الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

1_ التعليم :

أ_ التعليم عند المسلمين في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

لقد اقتصرت مفردات التعليم قبل سنة 1869م على الكتاتيب والمدارس الدينية الملحقة بالمساجد ،ولم تول الإدارة الحكومية اية اهتمامات بهذا الجانب ولم تخصص لها أية أموال من الإنفاق الحكومي العام ،فتم الاعتماد على ما يقدمه ذو المتعلمين من الأموال والهدايا للقائمين على التعليم في الكتاتيب أو ما كان يتم تخصيصه من وقفيات للمساجد والمدارس [4].

1_ القص خانة :هي المقاهي التي كان يجتمع فيها الناس من أجل الاستمتاع للقصص .

2_ مُحَمَّد رؤوف الشيخلي ، المرجع السابق ، ص 103 .

3_ علي الزبيدي ،" المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني" ، مجلة الأقلام ، السنة الأولى ، ج9 ،1965م ، ص 50 .

4_طاهر يوسف الوائلي ،ولاية بغداد(1534م_1623م)دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ،أطروحة نيل شهادة دكتوراه /فلسفة في التاريخ الحديث، جامعة الكوفة ،2011م_1432هـ ،ص 142.

فالكتاتيب يتعلم فيها الأطفال الذين تصل أعمارهم السن السادسة إذ يتلقى التلاميذ مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وتلاوته، وينقسم التلاميذ إلى مبتدئين ومتقدمين في القراءة والكتابة حيث تقسم المهام بين الشيخ الذي يتابع المتقدمين ومساعده ويدعي(الخلفة) المشرف على المبتدئين مع المتابعة العليا من الملأ نفسه. مع استعمال العقوبات الجسدية ضد من يقصر في مجال التعلم أو تحضير ما هو مطلوب في حفظ القرآن[1].

أما المدارس الدينية كانت ملحقة بالمساجد كان المنهج التعليمي فيها ينظم على ثلاث مراحل وهي:السطوح، والفضلاء، والخارجية(البحث الخارجي)، فالمرحلة الأولى :تشمل دروس اللغة العربية والبلاغة والمنطق .أمّا مساق الدروس في المرحلة الثانية :فيركز على درس المنهج والفقه وعلى الطالب أن يدرس مختلف المناهج التي توصل إلى معرفة الأدلة والثبوت والأصول والشرائع والفروض، ثم ينتقل الطالب بعد انتهاء هاتين المرحلتين إلى المرحلة الثالثة : الخارجية وليس في هذه المرحلة كتب خاصة معتمدة، إنما يحضر الطلاب دروسا ومحاضرات عامة يلقيها علماء كبار لهم شهرة دينية وفكرية بعدها يمنح الطالب الإجازة العلمية التي تجيز له التدريس مستقبلا بما أجيز فيه[2].ومن أهم هذه المدارس :

_**مدرسة مسجد سلاحدار1673م** :تفرد المرحوم إبراهيم الدروبي بذكر هذه المدرسة والمسجد[3] ،وسماها بمدرسة سلاحدار حسين باشا محافظ البصرة ،وحدد موقعها بالقرب من سور بغداد من جهته الغربية قرب مشهد الشيخ عمر السهروردي ،وان المدرسة والمسجد شيدهما حسين باشا سلاحدار سنة 1673م المهم انه شيد مدرسة علمية لتدريس العلوم العقلية و النقلية ،وأوقف عليها الأوقاف وعين فيها مدرسا هو حسين أفندي بأجرة يومية قدرها عشر أقجات ،وجعل مخصصات للطلبة الدارسين فيها ،وهذه المدرسة والمسجد عفى أثرهما ،الا ان هناك مرقد كان قريب منها، والمرقد لازال موجودا ،وكانت عليه قبة ،وتقع بالقرب مقبرة صغيرة قديمة تسمى مقبرة السيد إبراهيم[4].

_**المدرسة العلية 1762م** :شيد هذه المدرسة والي بغداد علي باشا الشهيد سنة 1762م وقتل هذا الوالي بعد ذلك ودفن في مدرسته ،وهي مدرسة متخصصة لدراسة العلوم الدينية وتعليم الفنون العقلية و النقلية ،وازدهرت حينا من الدهر بطلابها ،واشتهر أمرها ،وتحولت فيما بعد الى مدرسة الصنائع في عهد الوالي مدحت باشا ،وجعل فيها

1_عبد الرزاق الهلالي ،تاريخ التعليم في العهد العثماني (1638م_1917م) ،ط1،شركة الطبع والنشر الأهلية ،بغداد،1959م ،ص ص 47_55.

2_إيناس سعدي عبد الله ،المرجع السابق ، ص 553 .

3_عبد الله بن الحسن السويدي ،النفحة المسكية في الرحلة المكية في العراق وبلاد الشام والحجاز ،تح: عماد عبد الرؤوف سلام ،المجمع الثقافي ،أبوظبي، 2003م ، ص 70 .

4_ ميعاد شرف الدين الكيلاني ،مدارس بغداد القديمة ، ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ص 34 .

مطبعة لجريدة الزوراء ،ثم اتخذها الملك فيصل الأول دار سكن له ،ثم تحولت الى مجلس الأمة ،ومحكمة ثم متحف ثم قصر للثقافة والفنون .وأخيرا صارت مقرا لبيت الحكمة ،وهذه المدرسة في ايام عزها اشتهرت بطلابها ومدرسيها ،فدرس فيها العلامة مُحَمَّد أفندي الطبقجلي والعلامة عبد القادر الماراني والعلامة مُحَمَّد فيضي الزهاوي وغيرهم [1].

أما المدرسون فهم كبار العلماء والشيوخ الذين حصلوا على الإجازات العلمية في التدريس سواء من المدارس الدينية نفسها أو من أساتذتهم في المدارس الدينية المنتشرة في العالم الإسلامي، وتعتمد هذه المدارس في تمويلها الخاص ببناء المدارس ومرتبات المدرسين والطلبة على الأوقاف المسندة لها. غير أن أهم ما يميز هذه المدارس هو قلة الطلبة المتعلمين فيها مقارنة بأعداد المدرسين الكبيرة ،وهو أمر يفسره عزوف السكان عن إرسال أبنائهم للدراسة في هذه المدارس والاكتفاء بمرحلة الكتاتيب فقط[2] .

ب _ التعليم عند اليهود في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

عاش يهود العراق قبل القرن 19م في جهل كبير بحكم تعاليم حاخاماتهم الذين يمنعون التعليم غير الديني على أبناء طائفتهم لكن مع بداية القرن 19م بدأ الاهتمام الطائفة اليهودية بالتعليم ،لذلك أسسوا المدارس في مختلف الولايات لكن غلب على مناهج هذه المدارس التعليم الديني ،فبدأ اليهود بفتح مدارس التعليم الحديث في العراق عامة وفي بغداد خاصة [3]،ومن أهم المدارس التي أنشأها اليهود في بغداد خلال الحكم العثماني هي :

_مدارس المدراش : هي مجموعة من المدارس الدينية تشبه الكتاتيب عند المسلمين، وتبلغ30 مدرسة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون، وهي لا تختلف كثيرا عن الحيدر لكنها أكثر تنظيما، وفتحت أولها في بغداد تحت مسمى مدرسة مدراش تلمود وتوراة في العام 1832م ، وتم تأسيسها من قبل الرابي موشي لاوي أحد أجداد الحاخام الربائي حسقيل الوكيل، وكانت تهتم بالتعليم الديني لذا تراها قد خصصت نصف ساعات تعليمها الأسبوعي للدروس الدينية ، والتي شملت تعليم التوراه و التلمود وفقرات مختارة من دوواوين الشعر العبري [4].

-**مدرسة جمعية الأليانس للبنين** : تعتبر أول مدرسة للأليانس أنشأت العام 1864م ، وجابهت فورا تحديات من الهيئة الدينية ومدارس المدراش احتجاجا على البرامج العلمية التي اعتبرت بدعة تضعف تمسك الطلاب بتعاليم دينهم

1_عباس البغدادي الحسني ،نيل المراد في أحوال العراق وبغداد ،تح: عماد عبد رؤوف سلام ،بغداد ، ص 49 .

2_طاهر يوسف الوائلي ، المرجع السابق ، ص142 .

3_خلدون ناجي معروف ،الأقلية اليهودية في العراق ، المرجع السابق ، ص76.

4_ طاهر يوسف الوائلي ، المرجع نفسه ، ص 138 .

وتضع سطوة رجال الدين وأخذت الجهات الدينية تعارض المدرسة بكل قوة مما أدى إلى إغلاقها . وبعد محاولات فاشلة لافتتاح المدرسة ثانية حصلت القوى المستنيرة بدعم غير متوقع من الحاخام عبد الله سوميخ الذي أعلن تأييده لموقف جمعية الأليانس ، وعزز قراره بالحاق ابنه بالمدرسة التي افتتحت ثانية في العام 1865م ، وعين المسيو ماركس مديرا لها وافتتحها بحضور عبد الله سوميخ الذي كان موقفه هو الحافز الأول في التحاق اليهود بالمدرسة [1].

ج _ التعليم عند النصارى في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

كان التعليم من أهم مظاهر النهضة العلمية لنصارى العراق ،حيث انتشرت مدارسهم في كل المناطق من الشمال إلى الجنوب وقد كانت متطورة من حيث مناهجها وكوادرها التربوية خاصة في مدينة بغداد ،وكان للمسيحيين مؤسسات تعليمية دينية تشبه في الغرض الذي من اجله انشئت كتاتيب المسلمين ومدارسهم، وقد لعبت المدارس الدينية المنتشرة في الكنائس والاديرة دورا كبيرا في التعليم ومعظم معلمي هذه المدارس من القسس والرهبان الشمامسة .وقد يتلقى تلاميذ هذه المدارس دروسهم باللغة العربية أو السريانية[2]، ومن أهم المدارس التي أنشاها النصارى في بغداد خلال الحكم العثماني هي:

_**مدرسة الأرمن الأرثوذوكس** :تعتبر هذه المدرسة من أقدم المدارس المسيحية في بغداد ،إذ أنشأت حوالي عام 1790م كمدرسة ابتدائية ملحقة بكنيسة الأرمن الأرثوذوكس ،ولكن انتظمت فيها الدراسة دون توقف منذ عام 1853م حين وسعت بناياتها وخصصت الأموال من قبل أعيان طائفة الأرمن لضمان استمرارها في العمل[3] .

_**مدرسة الكلدان الكاثوليك** : أنشأت طائفة الكلدان الكاثوليك مدرسة ملحقة بكنيستهم في بغداد سنة 1843م،ثم أصبحت رشدية في عام 1875م. وتوقفت في عام 1878م بسبب مدرسة الوفاق ثم عادت لتفتح أبوابها عام 1894م وتم توسيعها في عام 1897م[4] .

2 _ القضاء :

تعد وظيفة القضاء من الوظائف الضرورية في الحياة الاجتماعية للسكان من خلال الهدف المنشود من أجله وهو تحقيق العدالة وحل المنازعات والخلافات التي تحدث بين الأفراد والجماعات ،والنظر في قضايا الأحوال

1 _ عبد الحميد الأرقط ، المرجع السابق ، ص 140.

2_جميل موسى النجار ، التعليم في العراق أواخر العهد العثماني (1869م_1918م)،ط1،بغداد ،2001م ، ص 253 .

3_ رفائيل بابلو إسحاق ،تاريخ نصارى العراق منذ انتشار المسيحية في الأقطار العراقية إلى يومنا هذا ، المرجع السابق ، ص 144.

4 _عبد الحميد الأرقط ، المرجع نفسه ، ص 237 .

الشخصية كالزواج والطلاق والميراث ومحاسبة المخالفين للنظم والقوانين والأعراف الاجتماعية المتمثلة بالآداب العامة ،بالإضافة إلى الإشراف على قضايا الأوقاف العامة والخاصة من حيث تثبيت الأحكام ومراعاة تطبيقها والمصادقة على الحسابات المالية الخاصة بها [1].

كان القضاة في مدينة بغداد المعنيون من قبل الدولة العثمانية يقومون بهذه المهام وفقا للشرع الإسلامي المبني على المذهب الرسمي للدولة (المذهب الحنفي) والقوانين الصادرة من الدولة ،غير أنه من المناسب الإشارة إلى أنه لم يكن جميع السكان يتبعون أحكام القضاء الحكومي في فض المنازعات والخلافات التي تحدث فيما بينهم ،فبعض من السكان وخاصة أتباع (المذهب الجعفري)يتبعون أحكام فقهاءهم وعلمائهم في حل المشاكل حياتهم الشخصية ؛إلا في حالة كون الخلاف الحاصل بين أحد منهم وبين آخرين من المذهب آخر أو من أتباع الطوائف الدينية الغير مسلمة فيتم اللجوء آنذاك إلى القضاة الرسميين .أما الطوائف الدينية (اليهود والنصارى) فإنها تعود في قضاياها الداخلية والأحوال الشخصية إلى الرؤساء الروحيين للطوائف والمعترف بهم رسميا من قبل الدولة العثمانية ،أول اللجوء إلى القضاء العثماني في الأحوال التي يكون فيها الطرف الآخر من المسلمين[2] .

أما الأحكام القضائية التي يصدرها القضاة فهي ملزمة التطبيق على الأفراد بقوة القانون والسلطة في المدن والمناطق التي تكون فيها قوة الحكومة واضحة، وإلا فإنها تكون غير ملزمة أو قابلة للتطبيق في المناطق البعيدة عن نفوذها كمناطق القبائل البعيدة .إذ أشارت بعض التعليمات الصادرة من الديوان الهمايوني العثماني إلى الإدارة الحكومية في بغداد ،بأن أحكام القضاء يجب أن تطبق على جميع السكان وبخاصة مناطق العشائر التي تتجاوز فيها على القوانين والنظم السائدة وإلا واجهت ما هو أشد من تلك الأحكام .غير أن الواقع السياسي والإداري والأعراف والتقاليد الاجتماعية المطبقة في القبائل لم تكن لتعترف بسلطة أو حكم غير سلطة مشيخة القبيلة و القوانين الخاصة بها[3] .

1_ طاهر يوسف الوائلي ، المرجع السابق ، ص140 .

2_جيب هاملتون وهارولد بون ، المرجع السابق ، ص ص 246_247 .

3_خليل علي مراد ، المرجع السابق ، ص 250 .

وهذه الأحكام تدون في سجلات خاصة يطلق عليها السجلات الشرعية ، والتي تتضمن التفاصيل الواردة عن شكاوى المتخاصمين والبث فيها والقضايا المتعلقة بالزواج والطلاق و الميراث وعقود البيع والشراء وبعض الضرائب وغير ذلك [1].

ولم يكن القضاء بمأمن من المتغيرات السياسية و الاقتصادية التي أصابت الدولة العثمانية وإداراتها المختلفة في أواخر القرن السادس عشر ، إذ أن ضعف السلطة المركزية و التدهور المالي الذي حصل للدولة وما تلا ذلك من فساد إداري و مالي ؛ قد دفع بالسلطة إلى السماح للقضاة بأخذ الأموال من الناس لقاء الأحكام التي يصدرونها ، الأمر كان يعني تأثر الأحكام القضائية الصادرة بالجانب المادي و من ثم عدم نزاهة القضاء . و الأخطر من ذلك تشجيع البعض من القضاة إلى التهافت في نيل منصب القضاء في المدينة أو منطقة ما ، واللجوء أحيانا إلى دفع الأموال لقاء التولية . وأثر ذلك كله في نزاهة القضاء و استقلاليته من حيث خضوع الأحكام للأهواء و الميول الشخصية ، أو التأثيرات السلطوية و المالية[2] .

لذا فإن العديد من القضايا التي كان القضاة في الولاية يصدرونها كانت تصل إلى الدولة بطريقة أو أخرى عبر شكاوى المتضررين منها أو عن طريق الإدارة ،فيتم نقضها من قبل السلطة العليا وتحديدا من الديوان الهمايوني وبخاصة ما تعلق منها بالأمور الاقتصادية من قبيل الأحكام الخاصة بالمنازعات حول ملكية الأراضي والضرائب والرسوم وقضايا الالتزام المتعلقة بها .وليس من الغريب أن تأتي التعليمات من الدولة العثمانية إلى حكومة الولاية بضرورة توخي الحذر والدقة في إصدار أحكام القضاء ومراعاة حقوق الأفراد والجماعات دون تمييز [3].

1_طاهر يوسف الوائلي ، المرجع السابق ، ص 141.

2_ستيفن همبسلي لونكريك ، الصدر السابق ، ص65 .

3_طاهر يوسف الوائلي ، المرجع نفسه، ص 142 .

3 _ الصحة و المستشفيات:

تعد الصحة العامة ركن من أركان البناء الاجتماعي وتعد مقياسا للأحوال الاجتماعية ودرجة تقدمها أو تأخرها لارتباط الصحة بمستوى المعيشة والتعليم ،كانت الحالة الصحية في غاية التدهور والانحطاط واعتمدت الشعوذة والدجل والخرافات والجهل المخيم على معظم سكانها بسبب عدم اهتمام الحكومة العثمانية بالإجراءات والتوعية الصحية ؛فمثلا لم يهتم الولاة بالنظافة العامة للمدينة أو توفير المياه الصالحة للشرب أو اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الأوبئة التي تفد إلى مدينة بغداد ،كما لم تبذل السلطات جهودا ملموسة في مجال ردم البرك والمستنقعات التي تخلفها الفيضانات التي كانت تتعرض لها بغداد دائما والتي كانت مصدرا للأوبئة كالملاريا والحمى والكوليرا .وقد كانت المناطق المفتوحة ما بين الأسواق والبيوت مكانا لتجمع القمامة وجثث الحيوانات التي كانت مصدرا للجراثيم والميكروبات ،ولفقدان المجال في تصريف المياه القذرة أثر كبير في انتشار الأمراض كالسل وغيرها من الأمراض[1] .

وقلما وجد من الولاة الإداريين من يهتم بالأمور الصحية والتوجيه بالاهتمام بالمياه والأطعمة والمأكولات ونظافتها ،وكانت مبادرة والي بغداد أحمد توفيق باشا سنة 1860م تعد فريدة من نوعها عندما أمر أصحاب المأكولات بوضع ستر من الخام على موادهم للمحافظة عليها من الغبار والذباب ،ومن ثم الوالي مدحت باشا الذي أدرك منذ الوهلة الأولى تدهور الأوضاع الصحية فأحدث نقلة نوعية في الميدان الطبي حيث بدأ الحملة الأولى للنهضة ضد التخلف والشعوذة والأمراض المنتشرة بين الجميع آنذاك ،توافق ذلك مع صدور أول نظام يتعلق بالصحة العامة وإدارتها في العاصمة والولايات على حد سواء الذي عرف الإدارة العمومية الطبية سنة 1871م وهذا الاتجاه يوضح اهتمام الدولة نحو مجمل الأوضاع الصحية ؛فقد أوجب هذا النظام على البلدية أن تعين طبيبا ومعاونا له ليعاين المرضى مجانا مرتين في الأسبوع في محل يتعين ويعلن عليه من طرف دائرة البلدية وهو مسؤول عن الصحة العامة في المدينة [2].استمر الوضع هكذا إلى غاية بداية إنشاء المستشفيات في مدينة بغداد وذلك سنة 1872م ومن أهم المستشفيات البغدادية خلال الحكم العثماني هي :

1_فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص ص339_450 .

2_ يعقوب سركيس ،ج2 ، المرجع السابق ، ص309 .

_مستشفى الغرباء بالكرخ : أنشاها الوالي مدحت باشا سنة 1872م اعتمد في بنائها على المبالغ التي جمعت من تبرعات الأهالي ،،وتم تعمير هذه المستشفى من قبل الوالي قدري باشا وإصلاحها وقبول المرضى فيها [1].

_مستشفى المجيدية : كانت هذه المستشفى في أول أمرها بستانا (بستان نجيب باشا) ثم تم تحويله في سنة 1895م بأمر من الحكومة العثمانية إلى مستشفى عسكري ،بقيت هذه المستشفى تزخر بالمرضى العسكريين إلى آخر العهد العثماني [2].

أما بالنسبة للصيدليات فقد وصل عددها إلى 13 صيدلية ،وكثيرا ما ارتبطت بوجود طبيب خاص بها يحدد وقت وجوده في الصيدلية لتقديم العلاج للناس .وكان هناك تجار يقومون باستيراد الأدوية من الخارج وكثيرا ما استغل باعة الأدوية والعقاقير الموجودون في بغداد حاجة الناس المتزايدة لبضاعتهم ،لهذا كانوا يبيعون الوصفة التي ثمنها قرشين بعشرين قرشا أو كانوا يبيعون الوصفة النافذة صلاحياتها ولهذا كان الكثير من الفقراء لا يشترون الدواء لضعف إمكانياتهم المادية .مع العلم أن أغلبية المجتمع اعتمد على الأعشاب الطبية الموجودة عند العطارين [3].

كان الأطباء قليلين جدا بالنسبة إلى سكان مدينة بغداد خلال الحكم العثماني لها ،آنذاك جاء بعض الأطباء العسكريين والمدنيين أشهرهم الطبيب بلال بك كان بارع في عمله وحسن الخلق فضلا عن زهده وتقواه ،والطبيب كاني بك وهو جراح ماهر وكذلك الطبيب عزت بك أيضا كان جراح يدعى اوسطه عباس ،أما طب الأسنان فهو منوط بالحلاقين في بغداد [4].

ظلت الحالة الصحية للمدينة تعاني من التدهور وحتى الجيش عان من الإهمال إذ كان الأطباء العسكريون المسؤولون عن التجنيد يبيعون قرارات الإعفاء من الخدمة بأسعار فاحشة ،ولم تستطع الإدارات الصحية من الحد من انتشار الأوبئة التي اجتاحت المدينة مرات عديدة ،مع العلم أن بغداد كانت أفضل حالا بالنسبة لمؤسسات الصحة

1_عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 33

2_المرجع نفسه ، ص 33

3_ أليسر وليس بدج ،المصدر السابق ، ص85.

4_عبد الحميد العلوجي ، السعلاوة في الخيال الشعبي العراقي ،مجلة العراق ،العدد 3 ،3آذار 1962م ،ص ص274_275 .

والملاكات الطبية وذوي المهن الطبية ،مع هذا نقول أن مدينة بغداد شهدت نقص الوعي الصحي خلال الحكم العثماني لها[1] .

المطلب الثالث : العادات والتقاليد في المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني :

1_ مكانة المرأة في المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني :

عانت المرأة البغدادية في العهد العثماني الكثير من الاضطهاد والاستغلال والاستعباد والتخلف ،وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت المرأة العراقية في أن تساهم في بعض من المجالات إلى جانب الرجل في ميدان العمل والبناء وأن تتجاوز حالة التخلف والقيود المفروضة عليها .ظلت المرأة البغدادية طوال العهد العثماني أسيرة العادات والتقاليد البالية التي لا تعطي للمرأة قيمة بشرية ،إذ ينظر إليها في مستوى أقل من مستوى الرجل ويتوجب عليها أن تعيش داخل جدران بيتها وإذا ما خرجت منه عليها أن تلبس الحجاب والذي ترى من خلفه العالم ،وعلى الرجل أن يتجنب ذكرها في المجالس العامة لأن مجرد الحديث عليها يعد خروجا عن الأدب وولوجا في أسرار البيوت .و لم تكن عزلة المرأة مقتصرة على الحجاب فقط بل إنها تعيش حالة في عزلة تامة عن الرجال حتى داخل بيتها ،إذ تقيم النساء في أماكن خاصة من البيت ولا يمكنها الالتقاء بالرجال وفي هذه الأماكن لا يفتح أي منفذ مطل على الطريق ،وبهذا لم يبق للمرأة من سبيل للترويح عن نفسها سوى الزيارات الجماعية التي تقام بصورة دورية وعندما يأذن الزوج بذلك[2]. وقد ترددت الكثير من القصص التي تدل على حرص الرجل على ستر المرأة وسجنها بسبع غرف مغلقة كي لا تجلب له العار ،وعند قدوم ضيوف من الرجال يلجأن إلى مكان منعزل فكان من المعيب أن ينظر الرجل إلى بنات أحد الناس [3].ويرى المجتمع البغدادي أن طاعة الفتاة لولي أمرها مفوض عليها ولا يحق لها الاعتراض على من يتقدم لها فهو من يزوجها لمن يشاء سواء كان هذا الشخص شيخا هرما أو شابا ؛ولا ترى الفتاة زوجها إلا يوم زفافها فتنتقل بذلك طاعتها من ولي أمرها إلى طاعة زوجها[4] .وقد فرض المجتمع كثير من القيود على المرأة في الوقت الذي أباح أمورا أخرى كانت تحط من كرامتها وقدرها ،وقد وضع قيودا على حرية تعليم المرأة ومنع عملية إحصاء

1_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص465 .

2_ اناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق ، ص ص 544_545 .

3_ يوسف عز الدين ،"مكانة المرأة العراقية وتعليمها في القرن التاسع عشر" ،ج1 ، مجلة المعلم الجديد ، 1953 م ، ص96 .

4_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع نفسه ، ص 386 .

الإناث بحجة أن ذلك يمثل انتهاكا لكرامة الرجل والحقيقة أنه انتهاك لكرامة المرأة وهذا يقلل من قيمة المرأة ويظهرها بمظهر الضعف والعجز[1] .

ومع ذلك إلا أن المرأة كان لها أثر كبير في الكثير من جوانب الحياة إلى جانب مسؤوليتها المطلقة في تربية الأطفال وإدارة البيت التي تتوزع بين الطبخ والغسل والتنظيف وغيرها من الأمور ،كما أنها ساهمت في ممارسة الأعمال الحرفية دون أن يدخل ذلك ضمن الأعمال المنزلية[2] وعلى سبيل المثال كانت معظم النساء وبخاصة من الفئة العاملة يتقن غزل الخيوط وتطريز الملابس والنسيج وبيعها في الأسواق[3] .

لقد ساهمت المرأة البغدادية خلال العهد العثماني مساهمة اختلفت على حسب وضعها في المدينة أو الريف ،وقد قسمت النساء إلى ثلاث طبقات :فنساء الطبقة العليا في المدن مثلا لم يكن مطالبات للقيان بنشاطات اقتصادية كتلك التي تمارسها نساء الطبقة الوسطى والفقيرة وكان يطلق عليهن اسم خوانين وتسمى بالغة التركية (خانم) وكانت أسيرة بيتها لا تخرج منها إلا بإذن زوجها وتكون وجهتها بيت أهلها وذوي قرباها وعند خروجها تخرج محجبة ،كما انصرفت هذه الطبقة بمزاولة شؤونهن النسوية الخاصة مثل الإفراط في اقتناء الملابس المختلفة والمجوهرات وتناول القهوة والتدخين والقيام بالزيارات الجماعية لبعضهن البعض وقد يصحب تلك الزيارات استدعاء المغنيات لإدخال البهجة والسرور في نفوس الحاضرات .أما الطبقة الدنيا والوسطى فإنهن يمارسن بعض النشاطات الخاصة كالغزل المنزلي وكانت هناك بعض نساء يعملن في مصانع النسيج وكانوا يعمدن إلى مشاركة الرجل في غزل الصوف بالمغازل ومن ثم غزله بالدواليب ،وفي الخارج تقوم المرأة بمساعدة الرجل بأعمال الحراثة والزراعة والحصاد وجني المحاصيل الأخرى وفي رعي المواشي ورعاية الحيوانات [4].

كما قامت المرأة برعاية نشاطات الخدمة الخيرية من خلال الوقف على المساجد والمدارس والربط والزوايا والسقايات وهذا يدل على تفهم المرأة البغدادية لحاجات المجتمع الأساسية ومن أهم هذه الأوقاف النسوية: وقفية منورة خاتون على مدرستها ولم يقتصر على ذلك بل جمعت الكتب العلمية المخطوطة والغير مخطوطة وأوقفتها على مدارسها ووقفية آسيا خاتون على مسجد الخطيب ووقفية مريم وعائشة بنتي مُحَمَّد الباجه جي على جامع الصياغ

1_ اناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق، ص548 .

2_ سعاد خيري ، المرأة وآفاق التطور في العراق ، بغداد ، 1975م ، ص 26 .

3_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص380 .

4_ اناس سعدي عبد الله ، المرجع نفسه ، ص ص 547_548 .

ووقفية صالحة بنت البندينجي على التكية البندنجية ووقفية صفية خاتون على فقراء التكية الخالدية ،وكان من النساء من يتولين الإشراف على الأوقاف بصفتهن متوليات يقمن بجمع الأموال ثم إنفاقها على الفقراء واليتامى والأرامل والمحتاجين [1].

أما من جانب التعليم عند المرأة فقد أحيط بتقاليد صارمة حيث حرمت المرأة من تعلم القراءة والكتابة لأنها تؤدي حسب نظرة المجتمع السائدة في ذلك الوقت إلى إفسادها ،لهذا لم تشهد هذه الحقبة سوى عدد قليل من مدارس الإناث غذا ما استثنينا مدارس الأقليات الدينية فإن تعليم المرأة يكاد ينعدم[2] ؛وظلت المرأة تعيش في ظروف متخلفة فرضها عليها تخلف المجتمع نفسه مما كان له أثر في الانحطاط الفكري للمرأة الذي جعلها تؤمن بالخرافات وكانت ألعوبة بيد المنجمين اللذين يكتبون لها كتب المحبة والبغض وغيرها من أعمال الشعوذة [3].إلا أن في أواخر القرن 19م تم إنشاء لها مدرسة في مدينة بغداد إلا أن هذا الإنشاء لم يمر دون أن تصاحبه عقبات عديدة من قبل الطبقات المحافظة على العادات والتقاليد القديمة التي كانت تتهم كل من يقوم بإرسال ابنته إلى المدرسة بشتى التهم الباطلة ورغم ذلك كله تم فتح هذه المدارس ،إلا أن مجلس معارف ولاية بغداد وضع شروط التي يجب توفرها في هذه المدارس وقام بحصرها فيما يلي :

1 _ أن تكون المنازل المجاورة للمدرسة موافقة عليها.

2 _ ألا تكون النوافذ مطلة على الشارع.

3 _ أن تحاط المدرسة بأشجار عالية.

وكانت الدوافع لوضع هذه الشروط هو تجنب الانتقادات الموجهة إلى مؤيدي فكرة وجوب تهذيب الفتاة وتثقيف عقلها [4]،وقد تم فتح أول مدرسة للنساء سنة 1899م في حي الميدان التي عرفت باسم(إناث رشدية مكتبي) وضمت دراسة الابتدائية والمتوسط وبلغ عدد طالباتها 95 طالبة درسن فيها العلوم وقراءة القرآن الكريم ومبادئ

1_ عماد عبد السلام رؤوف ،من تاريخ الخدمات النسوية العاملة في بغداد ،بحث في كتاب ندوة بغداد في التاريخ ، قسم التاريخ ،كلية التربية جامعة بغداد ، أيار 1990م ، ص ص 209 _219 _233 .

2_ طارق نافع الحمداني ، الحركة النسوية بحث في كتاب حضارة العراق ،ج3 ، بغداد ، 1985م ، ص 182 .

3_ عبد الرحمان سلمان الدربندي ، المرأة العراقية المعاصرة ، ج1 ، بغداد ، 1968 م ، ص 45 .

4_ اناس سعدي عبد الله ، المرجع السابق ، ص547.

الحساب والجغرافيا و التاريخ العثماني ،وكان هذا العمل الكبير بمثابة نقطة مضيئة في بداية طريق تحرير المرأة من الجهل والتخلف[1].

2_ الزواج في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

إن بناء المجتمع السليم يرجع إلى النواة الأولى التكوينية ،وهي الأسرة التي تبنى على الزواج ،وهو أهم النظم الاجتماعية و أخطرها شأن في حياة المجتمعات ،إلا أن الزواج كان يحكمه دستوره الخاص والمقدس الذي يراعي فيه جانب الترفيه والسياسة والاقتصاد والسلوك الاجتماعي زيادة على العادات والتقاليد .كان المجتمع البغدادي في العهد العثماني يتم الزواج لما كان له من أهمية كبيرة ومنافع شاملة وكان أول شيء يقوم به أهل العريس هو التحري الدقيق على البنت وبعدها تتم الخطوبة وتحصل الموافقة بين الطرفين وتعطي هدية للعروس وهي محبس أو خاتم تحلى به البنت المخطوبة ، وبعد الخطوبة يأتي يوم إجراء مراسيم العقد أي المهر يدعون الأقرباء والأصدقاء وبعد أن يكمل النصاب يتم الاحتفال بتوزيع على الحاضرين مناديل السكر والمشروبات ،وقبل أيام من يوم الزفاف نشاهد جماعة من الحمالين يحملون جهاز العرس يتقدمهم وفد العريس ويسمى ذلك (الحملة) [2].

وآخر ما يقوم به هو موكب العريس الذي كان مظهرا رائعا يشارك فيه جميع أبناء المحلة والمعارف والأصدقاء ،وهو من المواكب الليلية المهيبة حقا ،مبتدأ من المسجد أو الكنيسة أو الكنس بعد تأدية الشعائر الدينية ،يتقدمهم حاملو المشاعل النفطية لتنير ظلام الأزقة ثم قارعو الطبول والزمارون ،ويسير العريس بعد ذلك يحف به الشبان وهم يغنون ويرقصون يتقدمهم (الأوكي باشي)[3]حاملا شمعة طولها متر واحد يطلق الأهازيج فيرددها جميع الشبان بعده ،ويتبعهم الناس وفي يد كل منهم شمعة ثم خدم المدعوين وعبيدهم بيضا وسودا يسيرون أزواجا حاملين فوانيس .وكلما مر المركب بدار أحد الأصدقاء وقف الجميع تحته وإكرامه بأهزوجة تذكر اسمه فيجيب عليهم بالشكر ،وإذا مر الموكب على المقاهي يسارع صاحب القهوة لكسر إبريق الفخار تحت قدمي العريس إعلانا لطرد الشر فيبادر العريش بإعطائه شيئا من المال [4].

1_ عبد الرحمان سلمان الدربندي ، المرجع السابق ، ص46 .

2_عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 104.

3_ الأوكي باشي : أي زعيم الشباب .

4_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ، ص 360 .

أما موكب العروس فيخرج في المساء تتقدمه فرقة موسيقية ثم وجهاء الموفدين من قبل العريس ،ثم يأتي دور العروس لتتهادي في مشيها وقد غطت من رأسها إلى أسفل قدميها بالأردية والأقنعة البيضاء دلالة على العفة ،ولا يرافقها أحد من أهلها سوى القابلة وبعض من عماتها وجداتها العجائز .ومع تقدم الأيام أخذ موكب العريس يمر بدار العروس لزفتها. وكانت حفلات العرس تستمر لمدة سبعة أيام، إذ يجتمع الناس في بيت صاحب العرس والطبول تضرب والمزامير تعزف، ويعتبر ترويح على النفس وإبداء الفرحة والسرور في وجوه الحاضرين[1].

3_ الختان في مدينة بغداد خلال العهد العثماني:

يجري ختان الطفل عادة بين السنة السابعة والعاشرة من عمره وأحسن وقت للختان هو فصل الربيع حيث يكون الجو لطيفا مما يساعد على التئام الجرح ، فقد تختلف زفات الختان باختلاف الإمكانيات المادية فبعض العوائل تكون زفات أولادهم مشيا على الأقدام تتقدمهم الموسيقى البغدادية ،وقد تكون الزفة خيالة حيث يركب جميع المعزومين والمطهر والخيول المزركشة وهم بملابس جديدة وأمامهم الموسيقى واللعابات [2]. ولم تكن تتم عملية الختان لطفل واحد لا بد أن يكون معه أحد إخوته أو أبناء عمومته وإذا لم يكن له أقارب فيختن معه اثنان مع أبناء الحي ،وإذا كانت الحفلة لختان طفلين ذبح معهما ديك حتى يكونوا ثلاثة وإذا كانوا أربعة كانوا مع الديك المذبوح خمسة والسبب هو أن البغداديون كانوا يتشاءمون من العدد الزوجي في الختان ولا بد لهم من جعله فرديا كي لا يتعارضون الأولاد لمصائب ، وتحضر غرفة منام المختون بعد ختانه ويهيأ له بشطمال ابر يسم مع دشداشة بيضاء وغالبا ما تكون من الحرير ويضرب موعد مع الإزعرتي[3] والجوق الموسيقي للحضور صباحا مبكرين [4] .

فتبدأ حفلة الختان بالحنة ففي هذه الليلة تحضر القابلة التي ولدت أم الولد فتضع الحناء على يد المطهر وأصدقائه المدعوين بين الهلاهل والأفراح وتضع بعض النقوش باستعمال العجين وغيره ومنهم من يقيم فرحا ويسمى الجالغي مع دعوة كبيرة. وفي اليوم التالي يحضر الإزعرتي وهو مرتدي ملابس تقليدية متكونة من لفة الرأس خاصة

1_ المرجع نفسه ،ص 361.

2_ عزيز جاسم الحجية ، المرجع السابق ، ص 48 .

3_ الإزعرتي : الختان سمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة زعرت التركية التي تقع في شمال العراق ..

4_ عزيز جاسم الحجية ، المرجع نفسه، ص 50 .

يلفها حول الكلاو مع سروال أسود فضفاض والأدوات التي يستعملها في الختان هي :الميل[1] ، القراصة[2] ، الموس[3] ومن أشهر الختانين في بغداد خلال العهد العثماني مهدي بوشناق ومبارك بن دمير والحاج حسين سليمان[4].

4_ مجالس التعازي في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

يذكر الرحالة تافرينيه معلومات دقيقة عن عادات سكان بغداد فأشار وتحدث بإسهاب وتفصيل عن جنائز أهل بغداد ،وخص المسلمين السنة بعادات فعندما يموت الزوج تكشف المرأة عن رأسها وتحل شعرها وسود وجهها بخام القدور وتصنع حركات غريبة تستشير ضحك الغرباء بدلا من دموعهم ،ويحضر جميع الأقارب والأصدقاء والجيران إلى دار الميت و يمكثون هناك إلى موعد تشييع الجنازة ،وفي ذلك الوقت تتزاحم النسوة لإظهار حزنهن بطرق سخيفة وذلك باللطم والعويل كالمجانين [5]ويتم تشييع الجنازة بحزن شديد ولا يسمح للنساء بمرافقة الجنازة إلى القبر ؛لأنه لا يجوز لهن الخروج من المنزل إلا في أيام الخميس لزيارة قبر الميت [6]،إلا أن مسلمين الشيعة ممنوعون في مدينة بغداد من من إقامة المآتم والتعازي في مناسباتهم الدينية لذلك كانوا يذهبون إلى مرقد الإمام موسى الكاظم القريب من المدينة لأداء طقوسهم [7].

أما الجنائز عند النصارى المسحيين في مدينة بغداد فحين يموت أحد منهم يحضر جميع النصرانيين للمشاركة في دفنه وقد يجتمع أحيانا في أثناء الدفن نحو مائة وخمسين شخصا ،ويعودون إلى البيت ليجدون الطعام معدا لهم ثم في اليوم الثاني يعودون إلى قبر الميت ويصلون على المتوفي وفي اليوم الثالث يعدون العشاء للمارين ،و تكرر هذه المراسم في يوم الأربعين من وفاة الشخص ؛وفي هذه العادة عبء كبير على الفقراء من النصارى [8].

أما مجالس التعازي عند اليهود في مدينة بغداد ،فإذا مات أحد أبناء الطائفة اليهودية يبدأ الصراخ والنوح ودق الصدور وشق الثياب ،ويغمرون أنفسهم بالرماد وقد يمزق البعض الآخر ثيابه حزنا على الميت وأسفا عليه ويرتدون

1_ الميل :عبارة عن خشبة رفيعة تشبه عود المغزل مصقولة جيدا رأسها أرفع من نهايتها قليلا .

2_ القراصة : وهي قطعة حديدية تشبه المقص إلى حد كبير ولكنها غير حادة .

3_ الموس : وهو نفس سكين الحلاقة المستعمل لدى الحلاقين اليوم

4_ عزيز جاسم حجية ، المرجع السابق ، ص ص 51 _52 .

5 _تافرينيه ،رحلة الفرنسي تافرينيه إلى العراق في القرن السابع عشر ،تر: بشير فرنسيس و كوركيس عواد، بغداد ،1944م ، ص61.

6_ المصدر نفسه ، ص ص 82_84 .

7_ نيبور ،رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر ،تر: محمود حسين الأمين ،بغداد، ص 41.

8_ ستيفن همبسلي لونكريك ، المصدر السابق ، ص 113 .

المسوح المصنوع من النوع الخشن الغليظ علامة على الحزن ،وبعد التيقن من الموت يتم الإعداد إلى الجنازة فورا حيث أن الشريعة اليهودية تحرم تأخير الدفن ،فيقوم أهل الميت بغسل جثمانه كما تقضي شريعتهم بعدم لمس الميت لأن ذلك يتجنس الإنسان ،ويحمل اليهود ميتهم إلى القبر على نعش مكشوف يحيط به أقاربه ومعهم النادبات التي تم استئجارهن [1] .ثم تبدأ فترة الحداد بعد الموت مباشرة وتستمر سبعة أيام يأكل فيها أهل البيت البيض المسلوق من الأصدقاء باعتباره وجبة تعزية ،كما يحرم على أهل الميت أكل اللحوم وشرب النبيذ وممارسة الشعائر اليهودية [2].

5_ الأزياء و الألبسة في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

لم تختلف الأزياء لدى سكان بغداد كثيرا في العهد العثماني عما كانت عليه في العهود السابقة نظرا لارتباطها الوثيق بالطبيعة الإنسانية المحافظة عليها، فالأزياء الشعبية كانت امتداد لما كانت عليه في السابق وهي ترتبط إلى حد بعيد بالمستوى المعيشي للإنسان من حيث الغنى والفقر ونمط الاستيطان الذي يعيش فيه .فالأزياء لدى سكان المدن تختلف عن أزياء سكان الأرياف والبادية [3] .

إن أزياء الرجال الأغنياء في مدينة بغداد خلال العهد العثماني تميز بأنواعه الفضفاضة وباهظة التكاليف التي تصنع غالبا من الحرير ، أما رجال العامة كانت أزياؤهم بسيطة ومن المنسوجات القطنية والكتان والصوف تبعا لظروفهم الاقتصادية وأحوالهم الاجتماعية المتدهورة التي كانوا يعيشونها ، وإذا ما انتقلنا إلى السكان في الريف والبادية تكاد تكون متشابهة حيث أن الرجال كانوا يلبسون الثوب الفضفاض الطويل وعلى رؤوسهم الكوفية المثبتة بالعقال والعباءة الخفيفة والواسعة الموضوعة فوق الأكتاف [4] .كما يستعمل البغداديون قيافات مختلفة عديدة متشعبة تعود إلى عصور مرتحلة من القدم وتمثل أوضاعا مختلفة ،وإذا ألقيت نظرة في الأسواق المكتظة بالمارين تجد أنها متعددة الأزياء فتجدهم يلبسون لباس العقال فوق يشماغ [5] أزرق أو أحمر اللون يلبسه غير الشيوخ والطاغين في السن ،ولهذا ،ولهذا العقال صفات أخرى في بغداد فإذا كان ذا لفتين سمي طيتين وإذا كان ذا ثلاث لفات أو أربع لفات عرف

1_ زكي شنودة ،المجتمع اليهودي ، القاهرة ، الخانجي ، ص ص 517_518 .

2_ نبيل الربيعي ،تاريخ يهود العراق(859ق.م_1973م) ،ط1 ،دار الفرات ،لبنان كندا ، 2017م، ص 472.

3_ فردوس عبد الرحمان كريم الامي ، المرجع السابق ، ص422 .

4_ بيرو ديللا فاليه ، المصدر السابق، ص67 .

5_ اليشماغ :وهو عمامة قصيرة لا تزيد لفاتها على ثلاثة لفات مشدودة حسب مزاج صاحبها ،والذين يرفعونها فوق الجبين هم الفتيان المشهورين بأعمال الشقاوة أي الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومة .

(باللف)[1].كما أشار الرحالة نواب حميد يارجونك بهارد إلى أن رجال بغداد يلبسون ثيابا تتكون من سترة طويلة تصل الكاحلين وحزام حول الخصر وفوق ذلك معطف فضفاض يدعى العباءة ويضعون فوق رؤوسهم قطعة قماش مربعة تكوى في شكل مثلث تعرف بالشماغ أو الكوفية وتثبت بالعقال ،وهناك العمائم البيضاء خاصة بالعلماء والشبان المتدينين إذ كانوا من طلاب العلم والعمامة الخضراء للسيد الشريف والعامة من الحرير المقصب تسمى (كشيدة) وهي خاصة بالتجار والوجهاء وجميع هذه العمائم تلف فوق الطربوش ويعبرون عنم باسم (فينة) نسبة إلى مدينة فيينا عاصمة الدولة النمساوية لأنها تصنع في معاملها .وهناك العباءة التي هي في الأغلب سواء مطرزة بالحرير الأسود أو بخيوط الذهب والفضة ويسمى (كلبدون) أو (لاهي) وهي تصنع في إيران [2]. أما الأزياء الرجال عند اليهود والنصارى فهم يلبسون العباءات سوداء وشالات من الجوخ أو الحرير الأزرق كالعمائم [3] .

أما النساء فإنهن لا يختلفن كثيرا عن الوسط الاجتماعي الذي كان يعيشه الرجال من الغنى والفقر مع تميز لباس المرأة الغنية بألوانها الزاهية والمصنوعة من الحرير بأكمام واسعة وطويلة كان لباس نساء الأسر الفقيرة من القطن والكتان [4]. والنساء بشكل عام يغطين أنفسهن بالعباءة عند خروجهن من بيوتهن سواء كانت من الحرير الخالص لنساء الأثرياء أو قطع من التيل[5] المقسمة إلى أشكال هندسية مربعة وملونة بالأبيض والأزرق على الوجه براقع رقيقة سوداء تستطيع المرأة النظر من خلاله [6].و نجد أن الحجاب يشتد على المرأة إلى درجة مفرطة فكانت تقاس عفة المرأة المرأة بمقدار تشددها في التستر و اعتكافها في البيت [7] ، كما وصف الرحالة فريزر أن المرأة البغدادية وتسترها كأنها شبح ويذكر أنواع أخرى من الملابس التي يرتدينها في المنزل وعند الزيارات من القمصان والصداري والشال والستر والسراويل والعمائم والطرابيش و الحلي بأنواعها من القلادات والأقراط والخواتم والأساور [8] أما أحذية المسلمات كانوا

1_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 41.

2_أحمد حسين عبد الجبوري ، الأوضاع الاجتماعية في بغداد من خلال كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني ، ، جامعة تكريت ،كلية التربية ، قسم التاريخ ، ص 62 .

3_ جيمس بكنغهام ، المصدر السابق ، ص ص 199_201 .

4_ ديللافاليه ، المصدر السابق ، ص 73 .

5_ التيل : نوع من أنواع القماش .

6_ ديللافاليه ، المصدر السابق ، ص 74 .

7_ علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،جامعة بغداد ، ص 279 .

8_ فريزر ، المصدر السابق ، ص ص 138_147 .

كانوا يلبسن البابوجات الجميلة المطرزة في البيت ذات الألوان الصفراء التي تصل إلى ما فوق الكاحل والمزخرفة بالحرير الأحمر [1] .

أما النساء النصرانيات فيلبسن عباءة الإيزار حينا يخرجن من البيت وهي مصنوعة من الحرير وتغطي الجسم من الرأس إلى القدم ،أما الشابات فيضعن الطاقيات على رؤوسهن وهي مزينة بالحلي ويرتدين كذلك أثواب مزركشة متكونة من قسمين علوي وسفلي وهي مكشوفة الصدر وضيقة فضلا عن الحلي والمجوهرات الكثيرة التي يرتدينها في المناسبات [2] .

أما النساء اليهوديات معروفات في اقتنائهن الحلي الذهبية و المجوهرات والأحجار الكريمة كالألماس والياقوت والزمرد التي تعد عالية الثمن ونادرة الوجود وكان من طبيعة النساء اليهوديات ميلهن إلى البساطة في الملبس ورغبتهن الكبيرة في اقتناء الحلي والمجوهرات وبصورة عامة يتفاخرن النساء بكثرة حليهن ومجوهراتهن وخاصة في المناسبات ، أما نساء العامة فقد تكتفي بالأحجار الرخيصة وبعض الحلي الذهبية والفضية [3] .

وقد استخدمت نساء البغداديات مواد التجميل والعطور للتزيين والظهور بمظهر جميل ،فاستخدمت الكحل لتزيين العيون والأجفان والحنة لصبغ الشعر وأصابع اليدين والقدمين والمسك والعمبر ودهن الورد الثمين للتعطير [4] .

.

1_ فردوس عبد الرحمان كريم اللامي ، المرجع السابق ،ص412.

2_ ديولافوا ، المصدر نفسه ، ص ص 78_79 .

3_ فريزر ، المصدر السابق ، ص 143 .

4_ مي بصري ، من مدونات الرحالة نيجهولت ، العدد 8/12 /1967 .

6 _الأكل والمشروبات في مدينة بغداد خلال العهد العثماني :

اهتم البغداديون بالطعام ومكوناته ولم يقتصر طعامهم على نوع واحد بل على العديد من الأصناف هذا يبرز التباين الاجتماعي والاقتصادي ،ولعل انقسام المجتمع إلى فئات مختلفة ومتباينة في مستواها المعيشي جعلها تختلف في أشكال موائد طعامها .[1]

وكما هو معروف يقسم الطعام إلى ثلاث وجبات تشتمل وجبة الفطور على الحليب بأنواعه والبيض المسلوق أو اللحم المشوي أو القيمر مع الدبس أو مع العسل و الكاهي وتعتبر الهريسة أو البقلاء المنقوعة فطور بعض العامة والصوفية لانخفاض مستواهم المعيشي ، أما وجبة الغداء تشمل بصورة خاصة على الأرز (التمن) الذي يطبخ بعدة أنواع كالتمن المصفى والتمن مجبوس وتمن عجمانة والذرة وغيرها من أكلات الأرز التي تطبخ جميعها بالدهن الحر ويقدم مع أحد أنواع المرق التي تحتوي على اللحم ، وتكون وجبة العشاء وجبة خفيفة مع اللحم والخبز والخضروات وتكتفي العوائل الفقيرة بالخبز والخضروات وفي الصيف تدخل فاكهة البطيخ ضمن قائمة العشاء إذ اعتاد البغداديون تناول عشاءهم على السطوح صيفا [2] . وكانت بغداد غنية بالفواكه من الخوخ والمشمش والتفاح والايجاص والتوت واللحوم ولا سيما لحم البقر ، والخضروات من البطاطا والطماطم وغيرها [3] ،ويتخلل وجبات الأكل الفواكه كل حسب موسمها تدخل كمشهيات في تركيب الطعام أو توضع على المائدة لتزيد من شهية الأكل بنوعيتها اليابسة كالزبيب والمشمش والتين والرمان والرطبة كالبرتقال والسفرجل والمشمش والتين والرمان [4] . كما ذكر الرحالة البرتغالي تاكسيرا أن الطعام كان جيد في بغداد خاصة السمك النهري ذو الطعم الذين إذا كانت تشرب بكثرة في المقاهي الممتدة على الشواطئ دجلة ، أما الأكلة التي تدحل في كل الوجبات ولا يمكن أن يستغني عنها سواء كان فقيرا أو غنيا هي الخبز الذي يصنع بأشكال ومواد مختلفة أي من حبوب الحنطة أو الشعير أو الذرة ويصنع إما في داخل البيت بعد أن تقوم المرأة بطحن الحبوب بواسطة الرحى اليدوية ثم تقوم بعجنه وخبزه في التنور الخاص بصناعة الخبز

1_ فردوس عبد الرحمان كريم الامي ، المرجع السابق ، ص422 .

2_عزيز جاسم الحجية ، المرجع السابق ، ص 80 .

3_ ألكسندر ، المصدر السابق ، ص 64 .

4_ مدام ديولافوا ، المصدر السابق ، ص 121 .

المخصص له في المطبخ [1] والنوع الآخر في السوق في الأفران الخاصة به أو يباع خبز البيت من قبل بائعة الخبز في الأسواق [2].

وبجانب اهتمام البغداديين بالأطعمة فقد اهتموا بالمشروبات ،وأول هذه المشروبات المياه فاعتنى البغداديون بتبريده صيفا ويوجد في كل بيت محل خاص يعرف بيت الحبوب يواجه المجاز حيث يصله تيار الهواء ليزيد من برودة الماء ، ثم تأتي الألبان سواء كانت من البقر أو الأغنام التي تجلبها القرويات من ضواحي المدينة في أواني لتبيعها داخل المدينة [3]؛وهناك بعض الأسر تربي عدد من الماعز و الأغنام للاستفادة من ألبانها فتقوم الأسرة بصناعة الألبان للتأكد من نظافته .ومن المشروبات الأخرى هو عصير الفواكه المستخرج من النومي الحامض أو التفاح أو التمر الهندي أو عرق السوس أو الزبيب ويقدم عصير الفواكه بالضيوف في الأواني الجميلة ،وبعد معرفتهم بالشاي في أواخر القرن التاسع عشر أخذت العائلات تجتمع عصر كل يوم لشرب الشاي وقد زاد استيراده في مطلع القرن العشرين[4] .

1_ عزيز جاسم حجية ، المرجع السابق ، ص 69 .

2_ عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 260 .

3_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 80 .

4_ عزيز جاسم حجية ، المرجع نفسه ، ، ص 100

الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع "المظاهر الاجتماعية خلال العهد العثماني (بغداد نموذجا) "استخلصنا مجموعة من الاستنتاجات في النقاط التالية :

1_ تعرضت بغداد للعديد من الهجومات العسكرية تارة بيد الصفويين وتارة أخرى بيد العثمانيين ،حيث أنها تعرضت للهجوم الصفوي بقيادة الشاه إسماعيل إلى أن دخلت تحت الحكم العثماني بقيادة السلطان سليمان القانوني سنة 1534م الذي قام بتنظيم الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى أن دخلت تحت الاستيلاء الصفوي الثاني على مدينة بغداد وقام بإنهاء الحكم العثماني الأول سنة 1633م ، لكن حكمهم لم يدم طويلا حيث قام السلطان مراد الرابع باسترجاعها وإنهاء الحكم الصفوي الثاني فيها سنة 1638م ومن ثم دام الحكم العثماني في مدينة بغداد إلى زمن الاحتلال البريطاني ، وكانت هذه الفترة مليئة بالتنظيمات الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

2_شهد النسق العمراني في مدينة بغداد تحولات كبرى خلال الوجود العثماني ،وذلك من خلال إدماج أنماط معمارية وأساليب تنظيمية جديدة للمراكز العمرانية ،حيث أضافت الدولة العثمانية طابعا مميزا لأسوار مدينة بغداد الشرقية والغربية ؛ وكذلك المنشآت الدينية كالمساجد والزوايا والتكايا والكتاتيب القرآنية التي اهتم بها العثمانيون وطوروها وقاموا بإدخال إضافات على هذه المنشآت من زخارف ونقوش ،والمنشآت الدينية التي تمثلت في الأحياء والأسواق والمقاهي والخانات والحمامات والطرق والأزقة وغيرها من بنايات المدنية العمرانية التي شهدت تطورا ملحوظا .

3_ إن البناء الاجتماعي لمدينة بغداد خلال العهد العثماني انقسم إلى ثلاث فئات :الفئة الأولى وهي فئة العلماء ورجال الدين التي احتلت قمة الهرم الاجتماعي والديني في المدينة ،فكانوا من أبرز الشرائح تأثيرا في الحياة الاجتماعية والثقافية. ثم الفئة الثانية : وهي فئة التجار وأصحاب الحرف وهذه الفئة مثلت قمة الهرم الاقتصادي في مدينة بغداد ،أما الفئة الثالثة وهي فئة العامة التي جمعت بين الطوائف الدينية الثلاثة الموجودة في المجتمع البغدادي (المسلمون ،اليهود ،النصارى) .

4_ صنف العثمانيون الطوائف الدينية في بغداد إلى مسلمين وغير مسلمين أو أهل الذمة من اليهود والنصارى ،إذ أن الدولة آنذاك كانت تنظر إلى الطوائف الدينية على أنهم جماعة معينة يتزعمهم الحاخام لليهود والبطريرق للنصارى وهؤلاء يتمتعون بدعم السلطة من خلال الاعتراف بهم ومنحهم بعض الحقوق والمزايا مقابل دفع ما عليهم من

التزامات ومالية، ومن المميزات التي جمعت بين هذه الطوائف عدم حدوث أي نزاعات أو صراعات بينهم رغم عيشهم في أحياء متجاورة بل كانت مظاهر التعاون والتآزر والمحبة واضحة بينهم طيلة العهد العثماني .

5_كانت مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني لها طابعها ومميزاتها الخاصة التي تجسدت في مظاهرها الدينية والفنية والخدمات الاجتماعية .

6_ كان المجتمع البغدادي يتميز بخصائص أخلاقية مستمدة أغلبها من النظم الإسلامية والمثل العليا في الإسلام ؛فقد تعددت المظاهر الدينية في مدينة بغداد وقد حافظت كل طائفة من الطوائف الثلاث(المسلمون ،النصارى ،اليهود) على مظاهرها التي تمثلت في مجموعة من الأعياد والمناسبات والزيارات الدينية التي كانت سببا لتجمع الناس ومجالا للتعبير عن الفرحة والسرور .

7_ إن انتشار بعض المظاهر الفنية في المجتمع البغدادي لم يكن باتجاه حركة فنية مستقرة واضحة المعالم ،وإنما هي متخفية بين ثنايا المجتمع نابعة من تقاليدهم وعاداتهم وشعائرهم الدينية تمارس للترويح عن النفس سواء كان فرحا أو حزنا أو لقضاء الوقت كمجالس الأنس والطرب والتمثيل وظهور الملاهي.

8_ إن الخدمات الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني هي بمثابة أعمال كانت تقوم بها حكومة الولاية أو بعض الجهات والمؤسسات المعينة من أجل تخفيف بعض من معاناة السكان وحل مشاكلهم وتلبية بعض المتطلبات الاجتماعية .

9_ اعتمدت الدولة العثمانية في الولايات التابعة لها نظام القضاء الإسلامي الذي اتصف باليسر وعدم التعقيد ،لأن القضاء يعتبر وظيفة من الوظائف الضرورية في الحياة الاجتماعية ،فكان القضاء الاسلامي يشمل جميع المذاهب والطوائف الدينية .

10_التعليم كان في بداية الأمر يقتصر على الكتاتيب القرآنية والمدارس الدينية لكن في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني لمدينة بغداد بدا اهتمام الحكومة بالتعليم فقامت بفتح العديد من المدارس المدنية والعسكرية والدعوة لتعليم الأطفال من أجل الحصول على أجيال متعلمة .

11_اعتبرت الصحة في بغداد جانب غير مهم بالدرجة الاولى وذلك بسب تكالب الحروب والاضطرابات السياسية حيث ترك اثرا في انعدام الاهتمام بالأحوال الصحية من قبل الدولة والحكومات في بداية الحكم العثماني لكن مع

نهاية الحكم العثماني بدا الاهتمام بهذا الجانب وذلك بفتح مستشفيات وصيدليات عامة لمعالجة جميع المواطنين ومنحهم الدواء مجانا .

12_اعتبرت المرأة البغدادية من جميع الطوائف ركيزة في المجتمع البغدادي حيث ساهمت في بناء المجتمع في العديد من المجالات سواء في البيت او في الخارج كمشاركتها في الحرف اليدوية و انشاء الاوقاف ورعاية التكايا .

13_ مارس سكان مدينة بغداد خلال العهد العثماني الكثير من العادات والتقاليد المختلفة كحفلات الزواج والختان وما يتخللها من غناء ورقص وتمثيل وأهازيج شعبية .

14_ شكل العزاء في بغداد علاقات بين المسلمين والنصارى واليهود وذلك من خلال حضور مراسيم الدفن نساء ورجالا من جميع الطوائف الدينية .

15_ إن الملابس والأزياء في مدينة بغداد كان لها شأن جدير بالاهتمام ،فقد تميزت بالتنوع الكبير في أشكالها و ألوانها وأنماطها ،إذ كانت للملابس أهمية كبيرة في المجتمع البغدادي إذ يقاس الإنسان ببريق مظهره الخارجي .

16_ اهتم البغداديون بالطعام ومكوناته لكونه عادة يومية تبرز التباين الاجتماعي والاقتصادي ،تبدأ الأطعمة بالخبز عند الطبقة الفقيرة وتنتهي عند نوع جيد عند الطبقة الغنية ،ولا شك أن انقسام المجتمع إلى فئات مختلفة ومتباينة في مستواها المعاشي والاقتصادي جعلها تختلف في أشكال موائد طعامها .

يمكن أن نختم هذا الموضوع هو أننا لم تتح لنا الفرصة الكاملة لمعرفة بكل ما يتعلق بمظاهر الاجتماعية في العهد العثماني (بغداد نموذجا) .

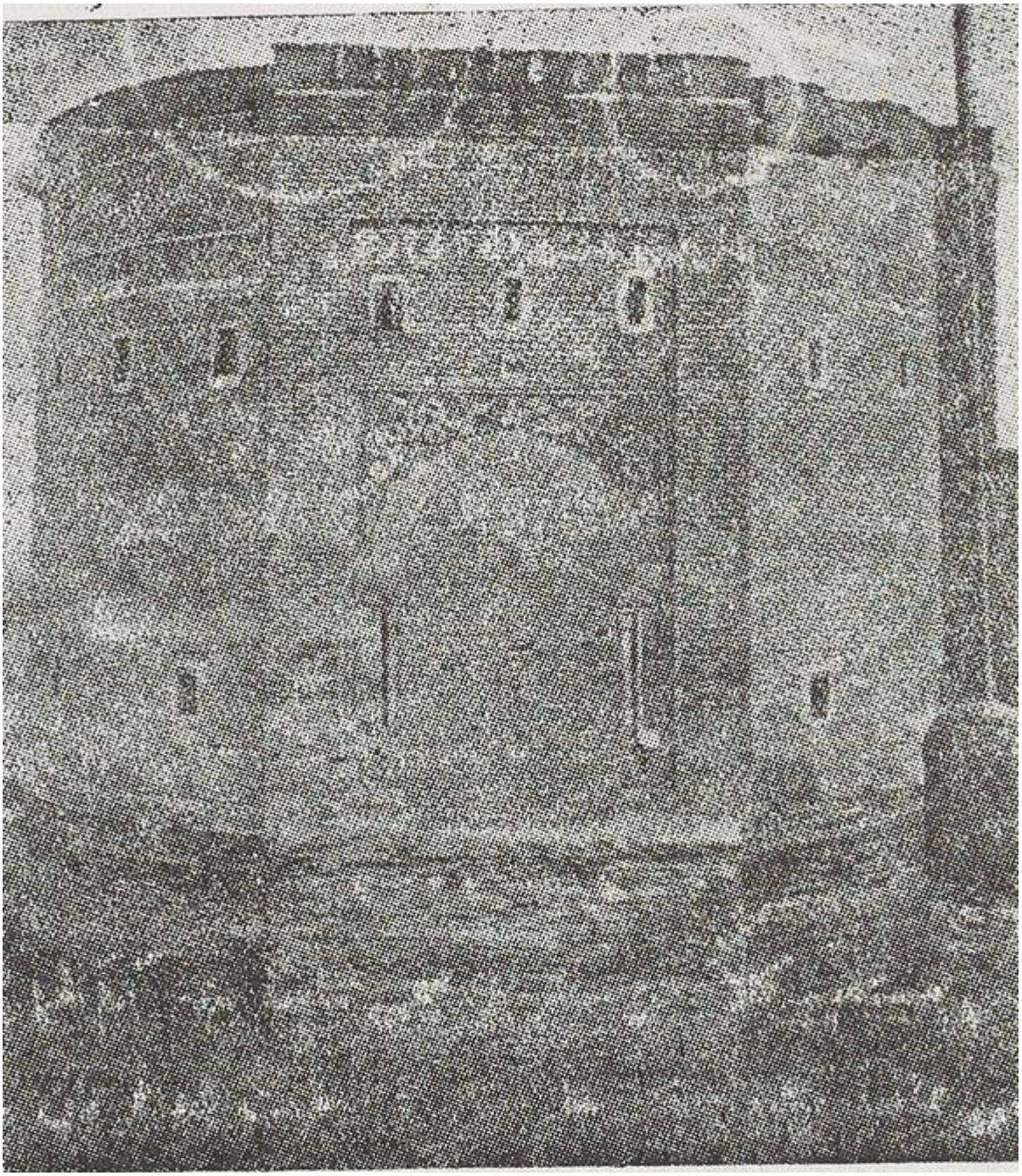
وفي الأخير نرجو أن يكون هذا العمل قد فتح نافذة للطلبة المهتمين بهذا الميدان للتعمق فيه أكثر، والتطرق إلى جوانب أخرى لم نتطرق لها في هذا الموضوع.

{كما نأمل أن تكون لهذه المذكرة مكانة خاصة في مكتبتنا}

الملاحق

الملحق رقم 01 :

صورة توضح الباب المعظم في الأسوار الشرقية في بغداد خلال العهد العثماني[1] .



[1] _ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 82 .

الملحق رقم02:

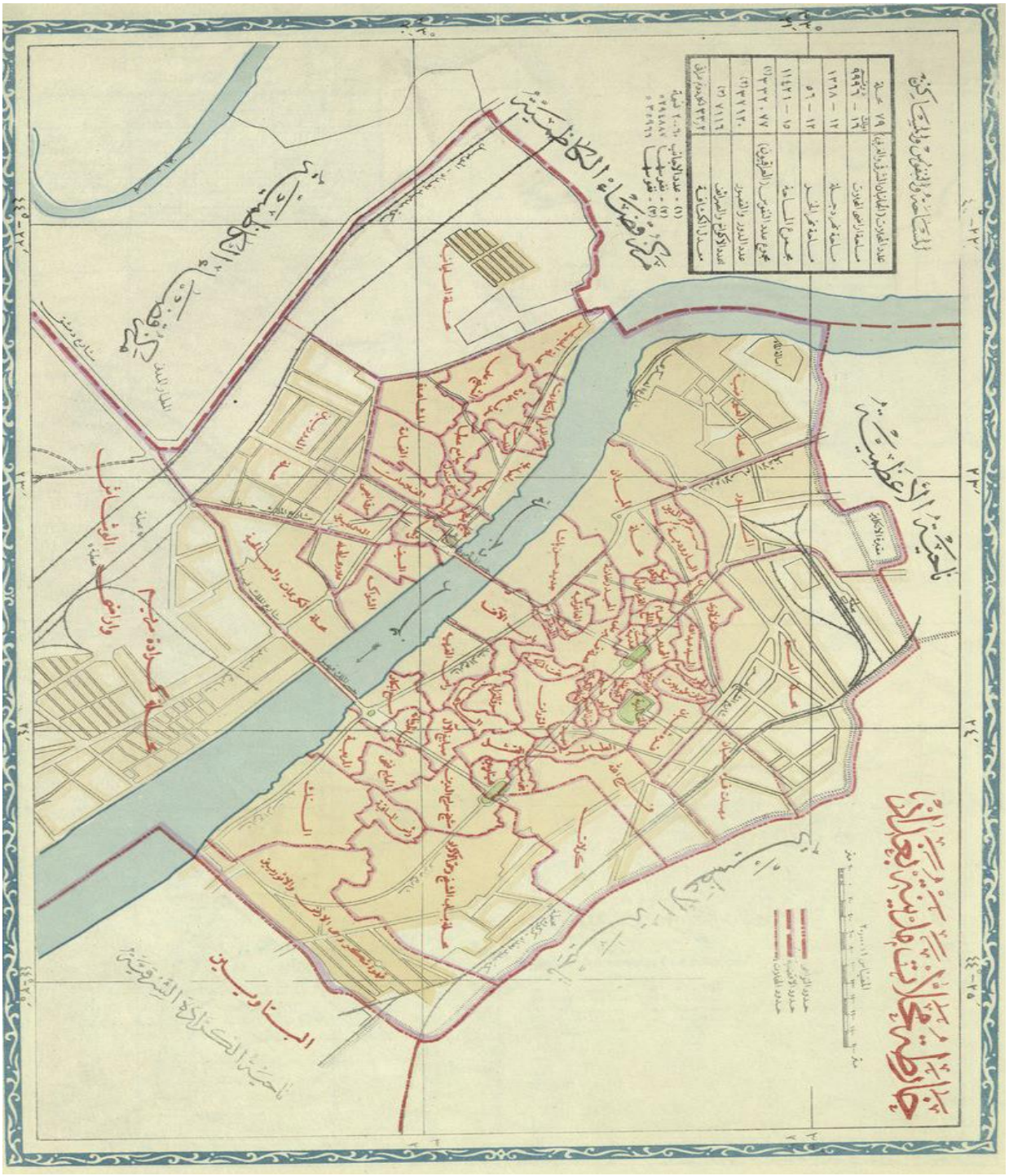
صورة توضح جامع المرادية [1]



[1] _ رفاة جاسم السامرائي ، النظام التخطيطي والعماري لمساجد بغداد في العصر العثماني ،جامعة بغداد ،كلية الآداب ، ص ص 1307_ 1312.

الملحق رقم03 :

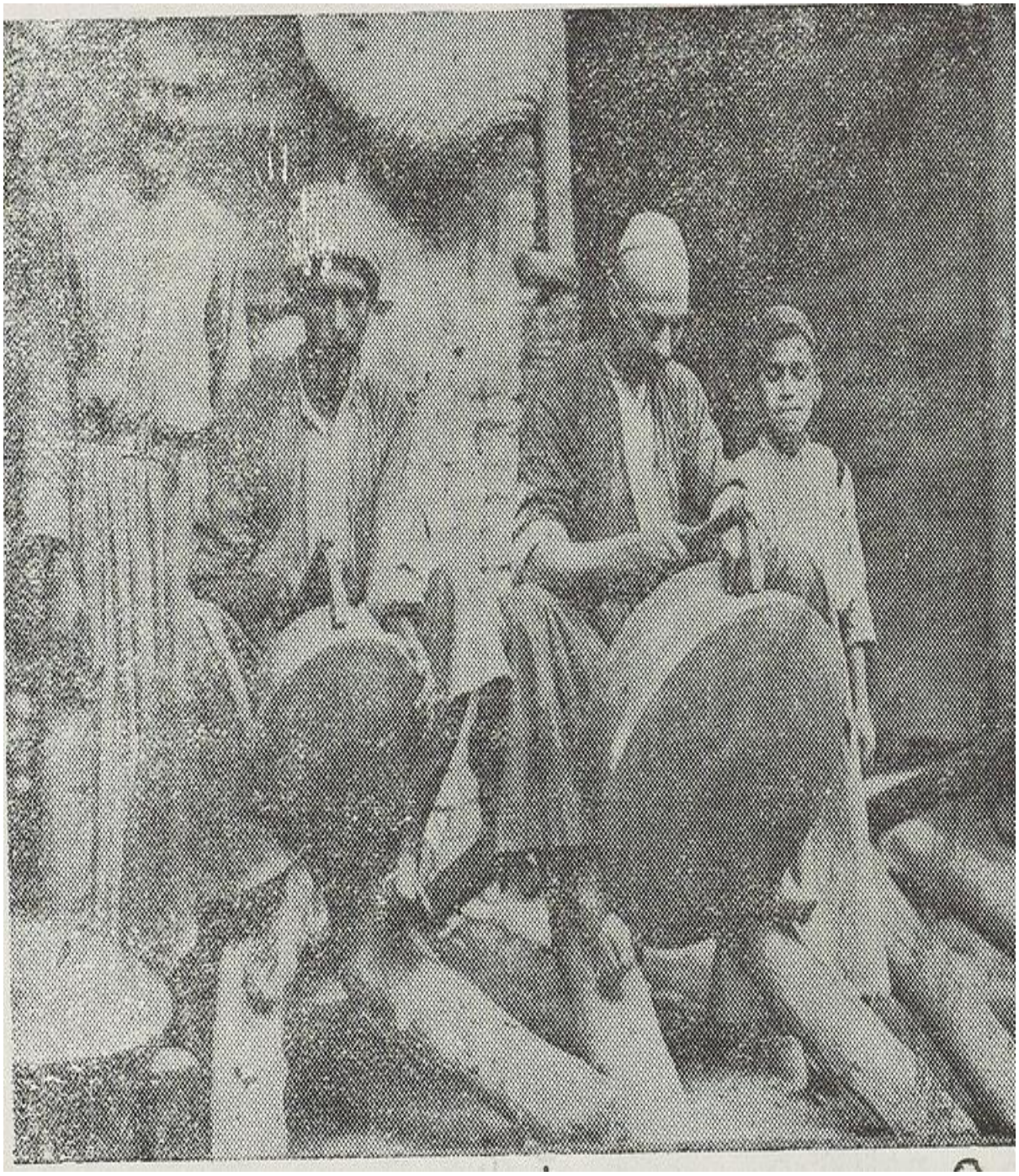
صورة توضح خريطة أحياء بغداد خلال العهد العثماني [1]



[1] _ أحمد سوسة ، أطلس بغداد ، المصدر السابق ، ص 20 .

الملحق رقم04:

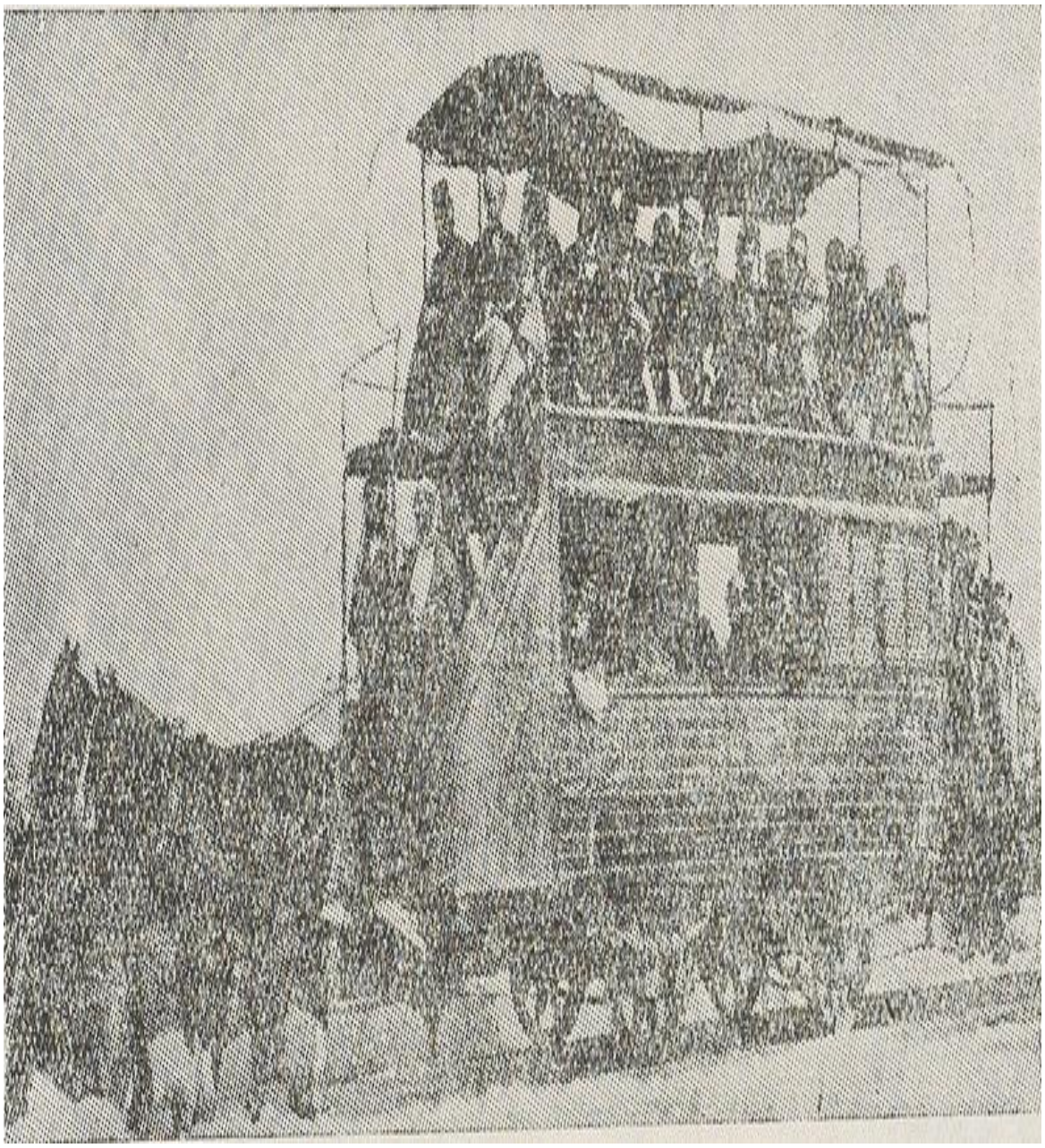
صورة توضح سوق الصفارين[1]



[1]_ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 53 .

الملحق رقم05:

صورة توضح عربة من عربات الترامواي [1]



[1] _عبد الكريم علاف ، المرجع نفسه ، ص15 .

الملحق رقم 06 :

صورة توضح الجالغي البغدادي خلال العهد العثماني [1]



[1] _ عبد الكريم علاف ، المرجع السابق ، ص 108 .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر :

1: القرآن الكريم .

2: البغدادي منشئ ،رحلة المنشئ البغدادي ،ترجمة :عباس العزاوي ،بغداد، 1948م .

3:الحيدري إبراهيم فصيح ،عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة والنجد ،مطبعة دار المنشورات ،بغداد ،1962م.

4:العزاوي عباس ،تاريخ العراق بين الاحتلالين في العهد العثماني الأول ،الجزء4، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد،1949م/ 1369هـ .

_ تاريخ العراق بين الاحتلالين في العهد العثماني الأول ،الجزء6 ،1954م/1373هـ .

_تاريخ العراق بين الاحتلالين العثماني الأول ،الجزء 7، 1977م /1375هـ .

5:بكنغهام جيمس ،رحلتي إلى العراق سنة 1816م ،ترجمة: سليم طه الكريتي ،الجزء1،مطبعة أسعد، 1968م .

6:بيردي فوصيل ،الحياة في العراق منذ 1714م_1914م،ترجمة :أكرم فاضل، بغداد، 1968م .

7: تافرينيه جان باتسيب ،رحلة الفرنسي تافرينيه إلى العراق في القرن السابع عشر ،ترجمة: بشير فرنسيس و كوركيس عواد، بغداد ، 1944م .

8:ديللافاليه بيترو ، رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر ،ترجمة: بطرس حداد ، بغداد ،2001م .

9: ريجارد كوك ،بغداد مدينة السلام ،ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد ،الجزء1 ،مطبعة الشفيق ، 1967م .

10: ريج كلوديوس جيمس ،رحلة ريج في العراق عام 1820م ،ترجمة: بهاء الدين النوري، الجزء1، مطبعة السكة الحديدية ،بغداد ، 1951م .

11:سوسة أحمد ،أطلس بغداد ،مطبعة المديرية الساحة العامة ، بغداد ، 1271هـ /1952م .

12:فريزر جيمس بيلي ، رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834م ،ترجمة :جعفر الخياط ،الدار العربية للموسوعات ، بغداد ، 1964م .

13:كونستاس ألكسندر ،بغداد في أيام الخوالي ،ترجمة : المجمع الثقافي في أبوظبي ، بغداد ،2001 م .

14:لونكريك ستيفن هيمسلي ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، تعريب: جعفر الخياط ،ط6، مطبعة النقيض الأهلية ، بغداد، 1941م .

15:مدام ديولافوا ،رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة_العراق سنة 1881م ،ترجمة: علي البصري ،منشورات دار البصري ، بغداد، 1958م .

2/ المراجع :

1:أبو الخليل شوقي، تشالديران (سليم الأول وإسماعيل الصفوي) ،ط1 ،دار الفكر ،دمشق،2005 م

2:الأثري مُحَمَّد بهجت ،أعلام العراق مطبعة السلفية ،القاهرة ،1345م .

3:الأعظمي علي ظريف ،مختصر تاريخ بغداد الحديث (بغداد في 4000سنة) ،مطبعة الفرات ،بغداد ،1344هـ/1921م .

4:الألوسي علي علاء الدين ،الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر ،تحقيق: جمال الدين الألوسي وعبد الله الجبوري ،بغداد ،1967م .

5:الألوسي محمود شكري ،أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ،تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف ،الدار العربية للموسوعات ،لبنان ،2008م .

_تاريخ مساجد بغداد وآثارها ،تهذيب: مُحَمَّد بهجت الأثري ،مطبعة دار السلام ،بغداد ،1346م .

6:البغدادي فرنسيس صائغيان ،تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق ،بيروت،1944م .

7:البغدادي عباس، بغداد في العشرينات ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1998م .

8:الحجية عزيز جاسم ، بغداديات ،الجزء 1، بغداد ،1966م ..

9:الحسني البغدادي عباس ،نيل المراد في أحوال العراق وبغداد ،تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف ،بغداد.

10:الحقيل إبراهيم بن مُحَمَّد ،أعياد الكفار وموقف المسلم منها ،الرياض .

11:الحمداني طارق، الملامح السياسية والحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، لبنان ،1989م.

12:الحنفي جلال ،المغنيون البغداديون والمقام العراقي ،بغداد .

_ الصناعات والحرف اليدوية البغدادية ، السلسة الثقافية 11، بغداد ، 1966م .

13:الخياط جعفر ،صورة من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، الجزء1، ط1،مطبعة الدار العربية ،بغداد ،1971م.

14:الدربندي عبد الرحمان سلمان ، المرأة العراقية المعاصرة ، الجزء1،بغداد ،1968 م .

15:الدروبي إبراهيم عبد الغني ،البغداديون أخبارهم ومجالسهم ،مطبعة الرابطة ،بغداد، 1377هـ/1958 م.

16: الربيعي نبيل ،تاريخ يهود العراق (859ق.م_1973م) ،دار الفرات ،لبنان/كندا ،2017 م.

17: الزبيدي علي ،المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني ،الجزء 9، 1965م .

18:السعدي الغازي ،الأعياد والمناسبات والطقوس عند اليهود ،ط1 ،دار الجيل للنشر ،عمان ،1994م.

19: السهروردي عبد الرحمان حلمي عباس ،تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر هجري ،تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف ،بغداد ،1996م .

20:السويدي عبد الرحمان بن عبد الله ،تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ،تحقيق: صفاء خلوصي، الجزء1، مطبعة الزعيم ،بغداد ،1962م .

21:السويدي عبد الله بن الحسن ، النفحة المسكية في الرحلة المكية في العراق وبلاد الشام والحجاز ،تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف ،المجمع الثقافي ،أبوظبي ،2003م .

22:الشيخلي مُحَّد رؤوف ، مراحل حياة بغداد في الفترة المظلمة وما بعدها ،الجزء1 ،البصرة ،1972م .

23:العمري سعاد الهادي ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب ،بغداد ،1954م .

24:الكوثراني وجيه ،الفيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين خارجيتين العثمانية والصفوية ،القاجازية ،ط4،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت ، 2015م .

25:الكيلاني ميعاد شرف الدين ،تاريخ تكايا بغداد والمشيخة الصوفية في العهد العثماني ،دار الكتب العلمية ،بيروت/لبنان ، 1871م .

_مدارس بغداد القديمة ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت /لبنان .

26:اللامي فردوس عبد الرحمان كريم ، الحياة الاجتماعية في بغداد (1247هـ_1336هـ الموافق 1831م_1917م)، ط1،الدار العربية للموسوعات ،2017م/1438هـ .

27:النجار جميل موسى ،التعليم في العراق في أواخر العهد العثماني (1869م_1918م)، ط1،منشورات الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،2001م .

28:الهلالي عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العهد العثماني (1638م_1917م)،ط1،شركة الطبع والنشر الأهلية ،بغداد ،1959م.

29:الوردي علي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،الجزء1 ،ط1،انتشارات الشريف الرضى ،إيران .

_ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،الجزء2، مطبعة الارشاد ،بغداد ،1971م .

_لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء 3.

_لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،الجزء5.

_لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء 8.

_دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،جامعة بغداد .

30:بابلو إسحاق رفائيل ،تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى يومنا هذا ،مطبعة المنصور ،بغداد ،1948م .

_كنائس نصارى بغداد في العهد العثماني،ط1 ،الدار العربية للموسوعات ، 2010م .

31:بطاطو حنا ، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،ترجمة: عفيف الرزاز ،الكتاب الأول ،ط1،مؤسسة الأبحاث العربية ،بيروت/لبنان ،1990م .

32:جواد مصطفى وأحمد سوسة ،دليل خارطة بغداد ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ،1378هـ/1958م.

33:خيري سعاد ، المرأة وآفاق التطور في العراق ،بغداد ،1975م .

34:ريمون أندري ،المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ،ترجمة :لطيف فرج ،ط1،دار الفكر للدراسات والنشر ،1991م .

35:سعدي عبد الله ايناس ،تاريخ العراق الحديث (1258م_1918م)،ط1،مكتبة عدنان ،بغداد ، 2014م .

36:سعفان كامل ،اليهود تاريخ وعقيدة ،ط1،دار الاعتصام ،الاسكندرية ،1981م .

37:شنودة زكي ،المجتمع اليهودي ، الخانجي .

38:عثمان مُحَّد عبد الستار ،المدينة الاسلامية ،الكويت ،1988م .

39: عز الدين يوسف ،الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ،قاهرة ،1965م.

40:علاف عبد الكريم ، بغداد القديمة ،ط2،الدار العربية للموسوعات ،بيروت/لبنان ،1320هـ/1999م.

41: غنيمة يوسف رزق الله ،نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ،ط1،مطبعة الفرات ،بغداد ،1924م .

42:فائق سليمان ،تاريخ بغداد ،ترجمة :موسى كاظم نورس ،بغداد ،1962م .

43:فريد بك مُحَّد ، تاريخ الدولة العلية ،ط1 ،دار القائي ،بيروت ،1981م .

44:قايا بيك ،كربلاء من الأرشيف العثماني دراسة وثائقية 1840م_1876م، ط1،دراسة العربية للموسوعات ،بيروت ،2008م .

45: متز آدم ،الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة: مُحَّد عبد الهادي ،الجزء2، القاهرة ،1934م.

46:مراد خليل ، العراق في العهد العثماني الثاني ،دراسة في إدارة العثمانية والاقتصادية ،ط1،بيروت،2018م.

47:مراد مُحَّد ،تاريخ أبو الفاروق ،ط1، مطبعة أمدي .

48: معروف ناجي خلدون ،

49:نورس علاء موسى كاظم ،العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700م_1800م، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،1989م.

50:نوار عبد العزيز سليمان ،تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى حكم مدحت باشا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة،1968م .

51: هاملتون جيب ،وهارولد بون، المجتمع الاسلامي والغرب ،تح:أحمد عبد الرحيم مصطفى ،ج1،دار المعارف ،مصر ،1970م .

_ المجتمع الاسلامي والغرب ، الجزء 2.

52:ياغي اسماعيل أحمد ،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،

3/ الرسائل والأطروحات الجامعية :

1:الأرقط عبد الحميد ،دور الأقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني (1517م_1917م)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ،تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر ،2020م/2019م .

2:الدراجي حميد مُحَمَّد الحسن ،الربط والتكايا البغدادية في الفترة العثمانية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ،كلية آداب ،جامعة بغداد ،1996م .

3: القصيري ،اعتماد: يوسف أحمد ، مساجد بغداد في العهد العثماني ، دراسة معمارية أثرية (941هـ_1048هـ الموافق ل1148م_ 1355م) ،أطروحة دكتوراه ،جامعة القاهرة ،1402هـ/1981م .

4:الوائلي طاهر يوسف ،ولاية بغداد (1534م_1623م) دراسة في أوضاعها الادارية والاقتصادية والاجتماعية ،أطروحة نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث ،جامعة الكوفة ،2011م/ 1432هـ .

5:رؤوف عماد عبد السلام ،الحياة الاجتماعية في العراق (1749م_1831م) ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ،جامعة القاهرة ، 1975م .

4/ المجلات :

1:البغدادي مُحَمَّد الهاشمي ،بغداد الحاضرة ،مجلة المقتطف ،مجلد 50 ، أبريل 1917.

2:الحاج عبد الرزاق مُحَمَّد رفعت ،ثورة بغداد على شركة (بيت لنج) ،مجلة الحضارة ،العدد2، 1988م .

3:العابد صالح محمود ،حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد، مجلة المورد ،عدد4، مجلد8 ، 1979م.

4:العلوجي عبد الحميد ،السعلاوة في الخيال الشعبي العراقي ،مجلة العراق ،العدد 03، 3آذار 1962م .

5:الهيتي صبري فارس ،تخطيط مدينة بغداد ،مجلة المورد ،العدد4 ،مجلد 8، 1979 م .

6:سعودي مُحَمَّد رؤوف ، مذكرات بغدادي ،مجلة المورد ،العدد'4، مجلد 8 ،1979م .

7:شبيب محمود ،مشاهدات أسير انكليزي في بغداد ،مجلة الأفاق العربية ،العدد6، شباط 1986م .

8:صفار رؤوف ، من ذاكرتي حمامات ،الكاظمية ، مجلة الهدى ،بغداد ، 29 تموز 2015 .

9:عبد الجبوري أحمد الحسين ،الأوضاع الاجتماعية في بغداد من خلال كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني ،جامعة التكريت ،كلية التربية ،قسم التاريخ .

10:عبد النبي أحمد عبد الواحد ،التخطيط العمراني والسكاني لمدينة بغداد في عهد الوالي الكوز لكي (1852م_1875م) ،مجلة التراث العلمي العربي ،العدد1، 2017م .

11: فنشنسو ماريه دي سانتا ، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر ،ترجمة: بطرس حداد، مجلة المورد ،مجلد 5، العدد 3، بغداد ،1976م .

12:كاندلر أدموند ،بغداد سنة 1917م ،ترجمة: مُحَمَّد مظفر الأدهمي ،مجلة المورد ،مجلد 8 ،العدد4 ، 1979م .

13:معروف ناجي خلدون ،خطط بغداد ،مجلة كلية الآداب ، العدد4 ،1961م .

_لمحات عن يهود العراق في العهد العثماني ،الدراسات الفلسطينية ، مجلة بغداد ،مجلد2 ، العدد4، أيلول 1973م.

5 / المعاجم :

1:البستاني بطرس، معجم محيط المحيط ،مجلد 1 ،بيروت ،1870م .

2:النجفي الحسن ،معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم ،دار واسط للطباعة والنشر ،بغداد ،1981م .

3:بندر عبد اللطيف وآخرون ،المعجم التركي العربي ، الجزء2 ،بغداد ،1981م .

4:غيث عاطف ،قاموس علم الاجتماع ، الاسكندرية ،1790م .

الفهرس

الفـــــهرس	صفحة
بسملة	
شكر وعرفان	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
المقدمة	أ _ هـ
المدخل: الأوضاع السياسية لمدينة بغداد في العهد العثماني (1534م_1638م)	7
1. الوجود العثماني الأول في مدينة بغداد 1534م	9
أ .أسباب حملة السلطان سليمان القانوني على مدينة بغداد	9
ب .أعمال السلطان سليمان القانوني في مدينة بغداد	10
2. الوجود الصفوي في مدينة بغداد وإنهاء الحكم العثماني الأول	12
أ .أسباب ضعف الحكم العثماني الأول في مدينة بغداد	12
ب. الحملة الصفوية الثانية على مدينة بغداد	13
3. الوجود العثماني الثاني في مدينة بغداد 1638م	14
أ .حملات الاسترداد على مدينة بغداد	14
ب .حملة السلطان مراد الرابع على مدينة بغداد 1638م	15
ج .الأوضاع العامة في مدينة بغداد خلال حكم السلطان مراد الرابع	16
المبحث الأول : العمران في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	19
المطلب الأول :أسوار مدينة بغداد خلال العهد العثماني	20
1. الأسوار الشرقية لمدينة بغداد	20
2. الأسوار الغربية لمدينة بغداد	21
المطلب الثاني :المنشآت الدينية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	21
1. أشهر المساجد والجوامع في بغداد خلال العهد العثماني	21
2. أشهر الزوايا في بغداد خلال العهد العثماني	25
3. أشهر التكايا في بغداد خلال العهد العثماني	26

4. أشهر الكنائس في بغداد خلال العهد العثماني	28
المطلب الثالث: المنشآت المدنية في بغداد خلال العهد العثماني	32
1. الأحياء في بغداد خلال العهد العثماني	32
2. الأسواق في بغداد خلال العهد العثماني	34
3. المقاهي في بغداد خلال العهد العثماني	37
4. الخانات في بغداد خلال العهد العثماني	39
5. الحمامات في بغداد خلال العهد العثماني	43
6. الطرق والأزقة في بغداد خلال العهد العثماني	45
المبحث الثاني :فئات المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني	47
المطلب الأول :فئة العلماء ورجال الدين	48
المطلب الثاني : فئة التجار وأصحاب الحرف	52
المطلب الثالث : فئة العامة (الطوائف الدينية)	56
1. المسلمون	58
2. اليهود	58
3. النصارى	61
المبحث الثالث :مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	65
المطلب الأول :المظاهر الحياة الدينية والفنية في بغداد خلال العهد العثماني	66
1. مظاهر الحياة الدينية في بغداد خلال العهد العثماني	66
أ .مظاهر الحياة الدينية عند المسلمين في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	66
ب .مظاهر الحياة الدينية عند اليهود في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	69
ج .مظاهر الحياة الدينية عند النصارى في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	70
2. المظاهر الحياة الفنية في بغداد خلال العهد العثماني	71
أ .مجالس الأنس و الطرب	71
ب .الملاهي	72
ج .التمثيل والمسرحيات	73
المطلب الثاني : الخدمات الاجتماعية في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	74

1. التعليم	74
2. القضاء	78
3. الصحة والمستشفيات	80
المطلب الثالث :عادات وتقاليد المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني	82
1. مكانة المرأة في المجتمع البغدادي خلال العهد العثماني	82
2. الزواج في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	85
3. الختان في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	86
4. مجالس التعازي في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	87
5. الأزياء والألبسة في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	88
6. الأكل والمشروبات في مدينة بغداد خلال العهد العثماني	91
الخاتمة	93
الملاحق	97
قائمة المصادر والمراجع	104
الفهرس	115 _113